شرح الشيخ صالح عبد الرزاق

كتاب الحسنة والسيئة رسالة لابن تيمية [٤٢]

① ١٠ / ٨ / ٢٠٢٠

فصل في قوله تعالى "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" وبعض ما تضمنته من الحكم العظيمة

فائدة: من المهم أن تقرأ هذه المواضع من السورة كأنك تفسر القرآن بالترتيب وأنت تحاول أن تفتش بالذكر فإذا أنت تحاول أن تفتش من الآيات فأنت تجمع كل المعاني التي تحتمل أن تدل عليها الآية من جهة وتستجمع النظائر أو الآيات المشابهة من جهة أخرى - أي تتكلم عن موضوعات الآية وليس مجرد تفسير الآية.

هذه الرسالة من أهم الرسائل التي تدرب طالب العلم على التعمق في فهم كتاب الله وعلى فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

فائدة: بعض الحالات تشتبه على أصحاب الحالات الحاصلة على أيديهم مثل مقالة الجبرية أو القدرية أو الجهمية أو المرجئة أو الخوارج فأحيانا كانوا يستدلون ببعض الآيات على مرادهم وهذه الآية من الآيات التي احتج بها بعض القدرية أو بعض الجبرية على مقالاتهم في القدر فضلا عن هذه الآية من الآيات التي تعالج المسلم لأنها تتكلم عن الحسنات والسيئات وعن الطاعة والمعصية وتتكلم كذلك عن المصائب والنعم. وتتكلم عن الأسباب التي تصيب الإنسان من جهة وأسباب الذنب من جهة أخرى فحاجة المسلم إلى مثل هذه الرسائل مهمة جدا فضلا عن هذه الآية كذلك تتضمن [illegible]

من الآيات التي هي محل إشكال وتأويل وتحريف وهي الآيات التي تصدر بها

أمر أو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن المعاني تحرف هذه الآيات

أو تؤول لغة أنه لا يمكن أن يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينهى بمثل ذلك

مثل: «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» «ولو أشركوا

لحبط عنهم ما كانوا يعملون» «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

[illegible] الإسلام» «إذا جاء نصر الله والفتح

فسبح بحمد ربك» فكيف نفهم هذه الآيات بقول النبي صلى

الله عليه وسلم مراد بهذه الآيات لتوهم أن إرادة النبي صلى الله عليه وسلم

بهذه الآيات تؤدي إلى انتقاصه. لقول [illegible] على [illegible] من ذلك تنقيص

النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات، أن يكون هو المراد منها ثم يبطل

[illegible] منه من الخطاب هذا أعظم، هذا لمكانة رسول الله صلى الله

عليه وسلم.

تصنيف هذه الرسالة: هذه الرسالة أولاً تدخل تحت تفسير القرآن

= نموذج لتفسير القرآن أو بيان آيات القرآن الكريم، موضوع ٢ أيضاً تصنف

هذه الرسالة من باب العقيدة، وتدخل من باب النبوات لأن الآيات تتحدث عما يلزم

أن [illegible] أو ما سماه المعاصرون لعصمة الأنبياء، كذلك تدخل في العبودية

والعمل الصالح وشعب الإيمان وأعمال القلوب، لأنها كذلك تعالج مسألة

الطائفة التي هي صفوة الإيمان التي لا تشتكي نفوسهم ضعفاً ما (كانت) هذه الرسالة هي من كنوز تراث الإمام ابن تيمية رحمه الله.

ومناسبة ما بعدها من الكلام من الآية، أولاً بيان سياق الآية حيث أن الآيات من الكلام عن الجهاد لما قال الله تعالى: "فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً"

فائدة = إذا أردت أن تبحث في آية من الآيات فالطرق الأولى أن تنظر إلى سياق الآية وسياق الآية فيه أكثر من محدد = السياق الأول أن تنظر فيما قبلها وما بعدها من الآيات، ثانياً أن تنظر إلى السورة التي جاءت فيها وموضوعات هذه السورة، ثالثاً أن تنظر إلى نظائر هذه الآية، ولابد أن تفهم أن القرآن نسيج واحد، القرآن يكمل بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً.

فيه أن الآية تتكلم عن الجهاد ومن ثم انتقل بعد ذلك إلى أن ذكر صلاة الخوف. وقد ذكر قبلها طاعة الله ورسوله والتحاكم إلى الله والرسول وردها تنازع فيه الناس إلى الله وإلى الرسول وذم الذين يريدون أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى غير الله والرسول. فكانت هذه الآيات فيها تعظيم الطاعة بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً"

حال ابن ... بعد أن جاهد بما جاء به الرسول، وقد قال تعالى: «إنما المؤمنون

الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله»

في سورة الحجرات، والله سبحانه وتعالى كان يميز بين صفات الإيمان الذين دخلوا

في الإيمان حديثاً ولم يتعلموا ولم يظهر حقوق إيمانهم ولم تظهر ثباتهم على الدين

وجاءوا يمنون بالإسلام «وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا

ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» فالله سبحانه وتعالى فرق بينهم وبين الصحابة

الماضين، والله سبحانه وتعالى لما وصف الصحابة الذين هم من صفات الإيمان

الذين جاؤوا يمنون بالإسلام وصفهم بأنهم ليس عندهم ريب وذكرهم وصفهم

وميزوا جداً عن غيرهم من صفات الإيمان الذين دخلوا في الإسلام ولكن لما يدخل الإيمان

في قلوبهم.

بين الإمام ... أن الأمر بالجهاد في سبيل الله موجود في نصوص أخرى

فجمع هذه النظائر يبين هذه القاعدة. فهنا تعلم من تقرير هذا الأصل مثلاً

عند إنزال الكتاب ليحكم بين الناس بما أراه الله ويبين له عند ذلك

وقد ذكر تعالى ضمن آيات الجهاد: ولم من يخاف العدو، ويطلب الحياة ...

أن ترك الجهاد لا يدفع عنهم الموت، بل أينما كانوا أدركهم الموت، ولو كانوا

في بروج مشيدة. فلا ينالون بترك الجهاد منفعة بل لا ينالون إلا خسارة الدنيا

والآخرة، قال تعالى: "ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا"

وهذا الفريق قيل إنهم منافقون، وقيل: ناس ضعفاء لما كتب عليهم القتال، ومنهم من يرى أن النص يتناول هؤلاء وهؤلاء وكل من كان بهذا الحال.

فائدة = الفرق بين النزول والتنزيل = النزول أي سبب نزول الآية، التنزيل: هو كل ما تشتمل عليه هذه الآية أي كل ما تنطبق عليه، وهذا أمر مهم يفرق بين المفسرين من خلافهم، ويكون هذا أمور قد يختلفون في سبب النزول، وقد يختلفون في إعراب الآية، قد يختلفون في حكم الآية، قد يختلفون في المراد بالآية، وقد يختلفون في الحكم من الآية، وأحياناً يكون في من المتكلم عنه كما في هذه الآية السابقة هل يتكلم عن المنافقين هل كانوا منافقين أم كانوا ضعفاء الإيمان ثم نافقوا؟ حيث انقسم من الخلاف.

قال تعالى: "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا"

فالضمير في قوله: "وإن تصبهم" يعود إلى من ذكر وهم "الذين يخشون الناس" أو يعود إلى معلوم وإن لم يذكر كما هو واضح كثيرة، وقد قيل: إنه هؤلاء

كانوا كفاراً من اليهود وغيرهم. كانوا أشد منهم وقتل بل كانوا من أهم الأعداء والمسلمين كل من كان كذلك ولكن تناوله لمن أظهر الإسلام وأمر بالجهاد أولى

(فائدة) :- مهم جداً أنه من الآية الخصيصة أن لا تشرع نقالة يحرم اللفظ ولهذا الكثير من الناس يأتي بالآية مثلاً في أمر ... مرزت، فيقول هذا عام لكل الناس وهذا المسلم هذه الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم في مشرك هو ذلك على أمر وقد قد تكون تهامع عاماً مضموناً ما نوكات من الخطأ : القول الأول :- هم الذين يجعلون سبب نزول الآية حصيصه نزلت في تجاوزوا مجاوزة إلى التعميم والقول الثاني :- هم الذين يقصرون الآية على من نزلت فيه مع أنه الآية تنزل على أمر والصواب أنه تشمل أولاً فيمن نزلت ثانياً على من شاكل

(فائدة) :- كان ابن تيمية يجمع الأقوال في الآية كما تقول لعند أقراءته تفسير الآية ثم أقول يا معلم إبراهيم علمني.

فيه ابن تيمية أنه لا يقصر أبداً أنه يذكر من تشملهم الآية دون أدلى من يدخل في الآية. وأذكر الناس دخولاً في هذه الآية هو المسلم الذي أمر بالجهاد ثم جبن عنه وقتل وحشر العاصي.

ثم إذا تناول الذم، فهو للكفار، الذين لا يظهرون الإسلام أولى وأحرى :- أي إذا كان المسلم الذي أمر بالجهاد وجبن يذم من هذه الآية فلا شك أن الكافر الذي أظهر الإسلام أولى وأحرى.

نحن نريد أن نعرف هؤلاء الذين إذا أصابتهم حسنة قالوا هي من عند الله
وإذا أصابتهم سيئة قالوا هي من عند محمد؛ هل هم المشركون؟ هل هم
اليهود؟ هل هم المنافقون، هل هم ضعفاء الإيمان الذين لم يصبروا
على الجهاد وظنوا أنهم غلبوا بسبب تدبير النبي صلى الله عليه وسلم
فابن تيمية يقول الذين تشمل كل هؤلاء وأولى الناس بهؤلاء هم
هم المسلم لأن المسلم كان يجب عليه أن يصبر وأن يعين رسول الله ويجب
أن يقعد عن الجهاد ثم ما أمر ويجب أن يعلم أن ما أصابه من حسنة
فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه هو فابن تيمية يقول هؤلاء أولى
من يعقلون من هذه الآية وإذا كان الذم سيطال هؤلاء فيطال الذم للكفار
الذين لا يظهرون الإسلام أولى وأحرى.

تفسير الألفاظ الغامضة في الآية

الحسنة والسيئة: يقول ابن تيمية رحمه الله أن عادة المفسرين
قالوا أن كلمة الحسنة والسيئة هنا في هذا السياق هي بمعنى النعمة
والمصيبة. وليس هذا هو المعنى الوحيد فيمكن أن تكون الحسنة بمعنى
الطاعة والسيئة بمعنى المعصية.

**يستدل ابن تيمية على أن الحسنة والسيئة في كتاب الله تأتي بمعنى
النعمة والمصيبة:** بين الإمام ابن تيمية أن لفظ الحسنة والسيئة

Subject .... Data / /

تناول النعمة والمصيبة وسائر أنواع الطاعة والمعصية قال الله تعالى

من المعاصي " إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها

وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا " فالحسنة والسيئة هنا بمعنى

المصيبة والنعمة وقال تعالى " وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون "

" وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم

فإن الإنسان كفور " وقال تعالى عن الكفار المتطيرين بموسى ومن معه

" فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى

ومن معه " وقولهم لنا هذه أي نحن نستحق أي أنه هو الذي كان

الله ليبتليهم بالنعم والمصائب إذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه أي نحن نستحقها

كما قال قارون إنما أوتيته على علم أي أنا مستحقها .

لفظ الحسنة والسيئة بمعنى الطاعة والمعصية :

أما استعمال القرآن للفظ الحسنة والسيئة في الأعمال المأمور بها والمنهي

عنها فمثل قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا

يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون " وقوله تعالى " إن

الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " وقوله تعالى " فأولئك

يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما " . الشيخ ابن تيمية

رحمه الله أن لفظ الحسنات والسيئات في القرآن يشمل هذا وهذا ويقع على

يقول ابن تيمية ما المراد بالحسنة والسيئة في هذه الآية الحسنة ، فالمراد

الإمام ابن تيمية أنا يدفع المعنى الأول فيقتضي أن الله تعالى ما أصابك ولم تفعل

ما فعلت ، الكثير أصابه ليس بركة فهو ، فالمراد ابن تيمية هنا أنه يرجح

أن المراد هنا النعمة والمصيبة ، يقول ابن تيمية أنه استعمال لفظ الإصابة

مع الحسنة والسيئة يدل أن المراد النعمة والمصيبة فإن نظائر هذا في القرآن

كثيراً ، ومنه قوله تعالى: "إن يمسسك الله بضر" ، فهذا في المصيبة

وقال تعالى: "فأصابتكم مصيبة الموت" ، وقال تعالى: "وبشر الصابرين الذين

إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون"

ثم يريد ابن تيمية أن يقول أن أول معنى يدخل في هذه الآية هو

الحسنة والنعمة ويستدل على قوله هذا بآثار الصحابة والتابعين

وقال السدي "وإن تصبهم حسنة قالوا" ، والحسنة الخصب ، تنتج

خيولهم وأنعامهم ومواشيهم ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان ، قالوا

هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة قالوا ، السيئة: الضرر في أموالهم

تشاءموا بمحمد ، "وقالوا هذه من عندك" يقولون بتركنا ديننا واتباعنا محمداً

أصابنا هذا البلاء ، يقولون هذا بسببك أنت بسبب سوء تدبيرك

أنت تشاءم علينا ، وقول هؤلاء من عندك تعني بسببك سواء بسبب

تدبيرك أنت أو [illegible] ولم نكن نقصد له

حصلنا على خير أو يكون بسببك أي أنت شؤم علينا أو بسببك أنه

أصابتنا من ربنا وفرقت جماعتنا) فهؤلاء المنافقون أو ضعفاء الإيمان أو المرتابون

كانوا يقصدون من ذلك أمراً خبيثاً) أنهم أرادوا أن يقولوا هذه الأمور

حدثت لنا بسببك وبسبب سوء تدبيرك وأنت شؤم علينا لأنك

أنت لست رسول الله لأنك لو كنت رسول الله لكان فعلك وأعمالك

يسددها ربك ولكنها تجري عكس ذلك فهؤلاء أرادوا أن يطعنوا في رسالة

النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق التشاؤم به والتطير به وهذه الآية

لابد من تفصيل معناها هذا المعنى أن يرد عليه) قال الله تعالى "وأرسلناك

للناس رسولا وكفى بالله شهيداً" = أي لهؤلاء القوم وحتى كل أهل الأرض

يطعنوا في رسالتك فقد أرسلناك للناس رسولاً ويكفيك أن هذا ربك تبارك

وتعالى = يكفي أن ربك شهد أنك رسوله فماذا يهمك بعد ذلك لو لم يشهد

لك إلا الله فماذا تشغل بالك) لذلك هذه الآية الوحيدة التي بين الله

فيها أن طاعة الرسول طاعة له بنفسه بصراحة، فقال "من يطع الرسول فقد

أطاع الله" ، وكل الآيات الأخرى "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول"

كأن هذه الآية فيها جبر لخاطر النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الذين آذوه

وشككوا في رسالته ،

فائدة = ومن نزل هذا الكلام على نفسه ستبقى حياته هادئة

لكن من الناس من يطعن في دينك من أجلك أو من عملك أي يكرهك

شيئاً يحكم عليك بالباطل فلعله لم يشتغل بهذا، إذا لست
تعلم شغلك بهذا فلا تعبأ بكلام الناس، ولعلك أن تكون عند الله
على خير، ولعلك أن يعلم الله منك خيراً، كما قال الإمام أحمد رحمه الله
«إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس» إذا عرفت نفسك فاشتغل
في إصلاحها، إذا كنت شيئاً ولست تعرفه فلا تغتر بالمدح، وإذا كنت
على خير فلا تعبأ بالذم الذي لم تقم به حجة، فإذا اشتغل الإنسان بإرضاء
الله يكفيه الله، أما إذا اشتغل بتحسين صورته عند الناس فسيكون
فيه شيء كثير من [illegible] وربما وقع في بعض المعاصي.

فائدة = الوالبي = علي بن أبي طلحة ويروي عن ابن عباس تفسيره
في تفسيره عن ابن عباس وقالوا أنه يأتي أحياناً ببعض المنكرات وأنه
لا يقبل تفرده عن ابن عباس إذا أتى بشيء غريب، ولكن ليس شديداً
في أسانيده لكن استفيد رواية الوالبي عن ابن عباس ويروى عن كلامه
يستأنس بها ولا يحتج بها لا سيما إذا انفرد أو خالف.

ذكر ابن تيمية تفسير الوالبي لأنه تكلم على هذا القول، الحاصل [illegible]
والحاصل يلزم أحد على تخصيصه.

فائدة = التفاسير المروية عن ابن عباس بشكل عام تحتاج لنقد وتحتاج
جمعاً للروايات لأن كثيراً منها لا يثبت وكثير منها لو نظرنا إليها
نقل إليك تفسير ابن عباس تحتاج أن تتحرى فيه.

ليس معنى أن التفسير المعين فيه كلام أو فيه ضعف أن نرد به التفسير دائماً
ونقوم بالنظر إلى إسناد التفسير أو جمع الروايات فربما يكون التفسير غريباً أو يكون
مشكلاً أو يكون مخالفاً لما ثبت أما إذا كان التفسير من جهة اللغة صحيحاً وموافق
للروايات فنحن نتجوز فيه . وهذه لها محل خلاف ، هل نعامل أسانيد التفسير كما نعامل
أسانيد السنة وهذا بحث طويل . وبشكل عام إذا كان التفسير له وجه وكان موافقاً
لتفسير التابعين وليس به معنى غريباً فالعلماء يتجوزون فيه ولا يشددون فيه .

Subject: المحاضرة الثامنة

Date: ٢٠٢٠/٨/١١ ①

بين أن هذه الآية ترد على كل المخطئين في باب القدر لأن الناس
أخطأوا في باب القدر إما أنهم جعلوا الإنسان مجبوراً على أفعاله أو جعلوا
الإنسان خالقاً لأفعاله وجعلوا الله ليس خالقاً ولا مريداً لأفعال العباد
وهم القدرية والمعتزلة . وذكر الإمام ابن تيمية هذا القول عن مطرف بن
عبد الله بن الشخير ما أن هذه الآية ترد على القدرية وكل من أخطأ في باب القدر
لأنها تثبت أن الإنسان له قدرة وله اختيار وله مشيئة وتثبت كذلك
أن أفعال العباد هي من خلق الله وتقديره ومشيئته سبحانه وتعالى .
بين ابن تيمية أن سياق الآيات يدل على أنه يتكلم عن أحداث نزلت
بالمسلمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها نعمة ومنها بلية ولا شك
أنه يدخل فيه يوم بدر ويوم أحد يدل على ذلك اللفظ والسياق وأقوال
السلف وأن المعنى الثاني فليس مردوداً دون الأول قطعاً ولكن قد يقال:
إنه مرادهم الأول أن السيئة يعني المعصية والحسنة هي الطاعة لأن ما أصاب
الإنسان من حسنة أي الطاعة هي من الله والله هو الذي وفقه والسيئة من نفسه
فالمعاصي هذا مدخل فإذا كان الجزاء الحسنة . كان جزاء السيئة بعمله
فالأولى أن يكون العمل الذي تسبب في هذا الجزاء من نفسه فلا منافاة أن تكون
سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه

Subject ______ Date / /

الآن نريد أن نعرف سبب السيئة من نفسه كما عرفنا عن الحسنة سببها من نفسه.

قال ابن تيمية " والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل " = أن الإنسان يهدى إلى الخير بسبب عمله ويهدى إلى الشر بسبب عمله. وهذا أصل شريف في الإسلام

وهو أن الهدى سببه من نفسه يهدى، وسببه من نفسه العمل " قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا " -"- إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم " -"- فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى " -"- ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما " -"- والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " وقال تعالى " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى " وقال تعالى " يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام "

الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى.

فائدة = قد يمنع الإنسان من المعصية مع كونه يشتهيها ويريدها ويعزم عليها، فيمنعه الله عنها ويصرفه عنها لعمل صالح سابق أو بإخلاص سابق وذلك أن الإنسان وقت صحوته يسعى وقت غفلته، فأكثر من الدعاء أن يصرفك الله عن المعاصي في وقت القوة لأنك ربما تضعف في وقت من الأوقات

مشتغل وعائلته إلا بهم قال تعالى "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء

إنه من عبادنا المخلصين" واحتمالا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى

يوم يبعثون"

فائدة = الإنسان الذي يشتغل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان وجهه كل سنة ما يجعل نفسه العليل بلا إخلاص إنه سيتعلم الحكمة ولابد

أنه سيهتدي إلى الحكمة.

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق

بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة. لأن الله

تعالى يقول "وإن تطيعوه تهتدوا" فلا يمكن أن يكون العبد آخذا

بأسباب الهدى ويضله الله بل يزيده هدى. حتى أن معنى أن

الله لا يضل العبد إلا بسبب من هذا العبد.

قال ابن تيمية رحمه الله: قال في آخر السورة "فليحذر الذين يخالفون عن أمره

أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"

"والله لا يهدي القوم الظالمين" لأنهم دعوا إلى الإسلام فلم يستجيبوا له

فائدة = قد يعجز الإنسان عن أمر كان مستطيعا له لأنه كسل عنه

من العجز والكسل مرتبتان فالأمر الذي تكون مستطيعا له وتكسل عنه لو قمت

بعد يوم سيصيبك العجز عنه حتى لو أردته لذلك كان النبي

صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من العجز والكسل.

فائدة: كل الآيات التي فيها ذلك بأنهم أو بأنّ لام التعليل لعلهم يعقلون، لعلهم يهتدون) تعني كل هذا تؤكد أن الله حكيم، ويدل على حرية العبد فسلكوا معصية الله وقالوا إن الله يفعل لمجرد المشيئة، فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لكنه أحكم الحاكمين وأعلم بمن ضل عن سبيله وأعلم بمن اتقى سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل ولكنه حكيم، ويعلم أنهم مردودون فلا يمكنه أن يضل من هم مستحقون للهداية، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

فائدة: إنك إذا كنت بصدد بيان آية من الآيات فكيف تبدأ:
فلاحظ أنه بدأ أولاً بسياق الآيات فيبدأ من أين بدأت هذه الآيات، ويتكلم عن السورة وأهم موضوعات السورة، ثم يتكلم عن السياق العام لموضوع الآية وهو هنا مرتبط بالجزاء والإخلاص لله، ثم بعد ذلك يتكلم عن من هم المتكلم عنهم هل هم المنافقون أم الكفار أم اليهود أم ضعفاء الإيمان وهكذا، ثم يتكلم بعد ذلك عن معنى الجملة لغة عموماً والأقوال التي قيلت ثم انتقل إلى فائدة منه لغة ثم انتقل من هذه النكتة إلى جمع الوجوه أو جمع النظائر.
أما ما أصاب الإنسان من حسنة فيكون بسبب عمل، وما أصابه من سيئة يكون أيضاً بسبب عمله.

عقوبات الأعمال: من الأمور التي تعين الإنسان على ترك المعصية أنه يعاقب بسبب هذه المعصية.

يعني ابن تيمية أنه إذا كان الإنسان ما تنسب إليه المعصية التي أصابته

بسبب سيئته هو فأولى منه أن تنسب إليه بسبب كأن يقود السيارة

بسرعة عالية جداً متوقع من حادث يجوز أن يقول له المعصية منك وبسبب

منك أيضاً لأن المعصية وقعت بسبب فعله وأذى من ذلك بغير فعله

ما تجاوز السرعة منه فإذا كان الأثر منه فأولى من ذلك أن يكون بالسببية

يفصل ابن تيمية في هذه النقطة حتى يثبت أن الحسنة والسيئة بمعنى

الطاعة والمعصية يمكن أن تدخل في المعنى العام لهذه الآية.

يريد ابن تيمية أن يقول = المعنى الأول لهذه الآية أن الحسنة هي النعمة

والسيئة هي المصيبة ولكن يدخل ضمنا الطاعة والمعصية.

- يعني ابن تيمية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في الخطبة

«نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا» فشرور النفس هي الذنوب

وسيئات الأعمال هي عقوبات الأعمال أن الإنسان يعاقب بسبب ذنبه

فقد بين أن قوله «من نفسك» يتناول عقوبات الأعمال ويتناول

الأعمال مع أن الكل بقدر الله = أي يرجع إلى الفعل وما يترتب على الفعل

أي يرجع إلى السيئة ويرجع إلى المعصية ويرجع إلى الحسنة ويرجع إلى

النعمة كذلك وهذا هو المقصود من هذا الاستطراد للإمام

- من الرد على القدرية -

يريد ابن تيمية أن يبين معاني الآية، ويريد أن يبين المعاني الخطأ التي استنبطت من الآية أو استشهد بالآية عليها وهذا من تمام الاستدلال.

فابن تيمية يريد أن يقول ليس للقدرية أن يحتجوا بهذه الآية، والمقصود بالقدرية هنا المعتزلة ومن وافقهم بالرأي.

~~فائدة = القدرية مقالة كل من قال بها فهو قدري؟ القدرية الأوائل كانوا ينفون علم الله وكتابة الله للأشياء يقولون الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها وهؤلاء هم الذين جاء حديثهم في أول صحيح مسلم الذين قالوا إن الأمر أُنُف يعني أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها، وهؤلاء حكم عليهم العلماء بالكفر ولكن القدرية المتأخرين هم تبنى هذه المقالة المعتزلة ومن تبعهم قالوا إن الله لا يخلق أفعال العباد ولا شاءها، وعموماً هم يقولون كيف يخلق الله أفعال العباد ويشاءها ثم يحاسب الناس عليها وقالوا كذلك كيف يخلق الله الشر ويشاء الشر ويشاء المنكرات والصواب أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء كل شيء من هذه الدنيا فالله علم به قبل خلقه وقبل وقوعه وكتبه وشاءه والإنسان مسؤول عن فعله يفعل بإرادته ومشيئته.~~

والمحل المعتبر هنا ليس الأفعال الاضطرارية التي تحدث للإنسان دون أن يكون مريداً لها، المقصود هنا الأفعال الاختيارية، هل أفعال الإنسان

Subject .... Date / /

الاختيارية أنه يكذب أو يصلي أو يسرق أو يزكي هل هذه

الأفعال من خلق الله وتقدير الله أم أن الإنسان هو الذي خلقها بفعل

نفسه = الجواب أنها من خلق الله وتقدير الله وإن كان الإنسان هو الذي

يفعلها بمشيئته واختياره وكل شيء خارج عن مشيئتك واختيارك

وقدرتك فلا علاقة له بما يسأله الله عليه) "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها"

، "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها"

فالقدرية المتأخرين المعتزلة ومن وافقهم - الذين قالوا أن الإنسان

يخلق فعل نفسه أو نفوا خلق الله ومشيئته لأفعال العباد

يقول ابن تيمية أن هذه الآية لا يمكن أن تكون حجة للقدرية فهم

جعلوا كلمة "من نفسك" أي من خلقك وتقديرك أنت وهذا ليس صحيحاً

وهناك الكثير من النقاط التي تنفي صحة استدلالهم بهذه الآية.

الذين قالوا أن الإنسان يخلق فعل نفسه والآية لا تشهد لذلك فالآية

فرقت بين الحسنات والسيئات وهؤلاء على مقتضى قولهم أن يقول

الله ما أصابك من حسنة فمن نفسك وما أصابك من سيئة فمن نفسك

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقل ذلك وإنما فرق بين الحسنة والسيئة

وهذا يرد عليهم، لم يقولوا أن الحسنة والسيئة هي من الإنسان وليست

من الله إلا من جهة الأمر أي أن الله أمر بالحسنة ونهى عن السيئة.

وهذا ليس صحيحاً فالله سبحانه وتعالى قال: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»

الوجه الأول لنفيه ونفي أن بعض القدرية يقولون أن الله قد كتب من الأعمال الحسنة أو السيئة ما هو جزاء لعمل العبد الذي هو بقدرة العبد واختياره وهذا من الاعتقاد ونفيه أيضاً أحياناً يقيسون في هذا الأمر ويخلطون في أمر الحسنة والسيئة من الله وأيضاً هذا القول ليس تاماً وإنه كان فيه جزء من الحق

الوجه الثاني في الرد على القدرية: أنه قال «كل من عند الله» فجعل الحسنات من عند الله كما جعل السيئات من عند الله وهم لا يقولون بذلك في الأعمال بل في الجزاء وكل من عند الله معناها أن الله علمه وكتبه وخلقه وإن كان الإنسان يفعله بقدرته واختياره

الوجه الثالث في الرد على القدرية المجبرة: أن الناس يعلمون أن العبد مجبراً ولا يعلمون أن له قوة أو إرادة أو استطاعة في أفعاله. فقال الإمام إن هذه الآية أيضاً ترد على هؤلاء وهذا يؤكد أن الإمام أنه يستدل بالأدلة بقول هذا الاستدلال في الآية ما يرد عليهم وهكذا، أي لا يمكنه أن يستدل على باطل بآية من كتاب الله أو حديث صحيح من أحاديث رسول الله وإنما يكون هذا من المستدل استدلالاً سيئاً منه

Subject ______ Date / / ٩

فائدة = الجبرية يقولون أن العبد ليس له لا مشيئة ولا قدرة ولا اختيار بمعنى أنه مجبر على فعله فلمّا يكون مجبراً على فعله

وربما نسب إليه الفعل قال الله "فمن نفسك" إذا له فعل

وتقدمت الآيات الكثيرة أن الإنسان يكون سيد... مختار له كما قال "لما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" وهذا يبين أن

الإنسان له فعل وقدرة واختيار وأن ما يصيبه إنما يكون بسببه نفسه وإن كان يعتقد الحسنات هي تفضل من الله، لقول ابن القيم أن القدرية

يجعلون الحسنة والسيئة من الله ولا يكون الله عكس القدرية الذين يجعلون العبد هو الفاعل لفعله أي هو المسؤول كاملاً عن فعل نفسه

وليس لله فيه خلق ولا مشيئة ولا قدرة.

والصواب: أن الله خلق وكتب وقدر وشاء فعل العبد لكنه ليس الفاعل سبحانه وتعالى ولكن العبد هو الذي فعل باختياره وقدرته ومشيئة

فالعبد هو الفاعل والله هو الخالق.

قال تعالى "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" وقال تعالى "وما ظلمناهم ولكن ظلموا

أنفسهم" إذا الفعل منهم وقال تعالى "ولكن الله حبب إليكم

الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك

هم الراشدون" فالله سبحانه وتعالى هو من يحبب الحسنة كما بينه مسلم

أنه حبب إليهم الإيمان وهو حسنة وزينه في قلوبهم، وأنه كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وهو سيئة، فالقرآن جمع بينهما من جهة أن الجميع من خلق الله "قل كل من عند الله" لكن فرق بينهما من جهة أن الله شرع لنا الحسنة وحرم علينا السيئة.

شيخ / محسن عبد الرازق . كتاب الحسنة والسيئة لابن تيمية

Subject: الدرس الثالث

Date: ٢٤ ذو الحجة ١٤٤١هـ ١٤ / ٨ / ٢٠٢٠

①

- إشكال يرد على الآية .

بعدما بين الإمام ابن تيمية أن هذه الآية ليست حجة للقدرية أو الجبرية . انتقل إلى الإشكال يرد على الآية ، وهو كيف يقول الله تبارك وتعالى إن الحسنة والسيئة وهي الحسية والنعمة ، والمعاصي والطاعة ، كيف يقول الله سبحانه وتعالى كل من عند الله ثم بعد هذه الآية يقول ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي لماذا جمع الله بينهما فقال كل من عند الله وكان هذا ردًا على الذين زعموا أن السيئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بسببه أو بسبب مخالفتهم إياه ثم بعد ذلك فرق بينهما فلا داعي ثم بعد ذلك فرق بين الحسنة والسيئة ؟

وجه التعارض والإشكال في الآية هو مرحلة فهم من كلام هذا الكلام فابن تيمية رحمه الله أراد أن يبين أن الآية لا إشكال فيها ولكن أحيانًا يبين للعقل بيان الإشكال مناسبة الآية فهذه الآية بإختصار أن المنافقين وضعفاء الإيمان يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابنا من بلاء ومحنة ومشقة فهو بسببك إما بسبب سوء تدبيرك أو بسبب أننا تركنا ديننا ودخلنا في دينك أو بسبب أنك جئت بذلك ،

فلم قالوا ذلك كما كان تطير الكفار برسلهم وكما قال قوم موسى «أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا» فكأنهم أرادوا أن الأعمال التي أوجبت لنا هذه المصائب هي بسببك فهذا معنى قولهم من عندك أي يزعمون أن المصائب التي حصلت لهم كانت بسبب اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو قول الكفار أو المنافقين أو ضعفاء الإيمان.

نبه ابن تيمية أن هذه الآية لا إشكال فيها والإشكال يرجع لأمرين: الضعف في القارئ من حيث فهمه للسان العرب وكما بين الشافعي في مطلع كتاب الرسالة أن فقه القرآن يتم بأمرين رئيسيين العلم بلسان العرب الذي نزل به القرآن والعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو بيان للقرآن فالذين يضلون في فهم القرآن أو يظهر لهم إشكال أو اختلاف وما يمكن أن يسمى بالتناقض هذا راجع لأحد أمرين إما لعدم علمهم بلسان العرب أو بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما أراد ابن تيمية هنا أنه يجمع لك النظائر ويبين أن هذا الأمر أمر معهود عند الكفار والمنافقين وعند أعداء الرسل أنهم يزعمون أن المصائب تصيبهم بسبب الرسل إما بسبب مجيء الرسل أو بسبب اتباعهم للرسل.

فائدة = إذا كنت تدرس آية من الآيات فحاول أن تجمع كل ما يشابهها وقليل من الناس من يتقن هذا الباب.

ونظائر هذه الآية في القرآن كما قال أهل القرية للمرسلين "إنا تطيرنا بكم" وكما قال الكفار من ثمود لصالح "اطيرنا بك وبمن معك"، وكما قال تعالى "ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة"

ومن قالوا لرسول الله أنت أمرتنا بالجهاد وبسبب هذا الجهاد قتل منا وهزمنا هكذا وهذا كان موجود كثيرا في الكفار وضعفاء الإيمان كما قالوا "غرّ هؤلاء دينهم" - "ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا" - "لو أطاعونا ما قتلوا" - آيات كثيرة في هذا المعنى.

فائدة = لا تظن أبدًا أن يصاب الإنسان بسبب حسنة، إنما يصاب الإنسان بسبب ذنوبه أو ابتلاءً ليستخرج منه معاني الإيمان، أما أن يكون العمل الصالح سببا في مصيبة فهذا لا يمكن أن يكون. فهؤلاء يريدون أن يصفوا أمر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق التطير بما يأمر به والمصائب التي تحدث فكأنهم يقولون له لو لم تفعل ما حدث لنا كل هذا

فائدة = طريقة الضمير يعود على أقرب مذكور هذه قاعدة فإن الضمير يعود على أقرب مذكور، ومعنا هنا الضمير "كانوا" يعود على الناس قالوا من عندك.

فائدة - إذا أطاع الإنسان معصية الله تكون سببًا في معصية له
فهذه الحيلة حتى لو حصلت بلا شيء فهو مرتبط بالمعصية زائل وهو شر في
في عاقبة الأمر، وطاعة الله تبارك وتعالى هي أصل كل خير "وإن تطيعوه تهتدوا"

فائدة: فرق بين النزول والتنزيل، فهذه الآية نزلت في الكافرين
الربانيين والمنافقين الذين كانوا أمام النبي صلى الله عليه وسلم يتحججون أن
ما يأتيهم له سبب من السماء أو من الشيطان أو من الصحابة، وتشمل عامًا لكن التنزيل
على كل مسلم وعلى كل شخص يتبع حججًا كمن يقول أنا عاصٍ لعدم الإسلام بسبب
ما تخلف فهؤلاء يسلكون من هذه الآية كأن تقول المرأة مثلًا في سبب
من تأخير الزواج نصيحة لشخص محافظ على الصلاة ومواظب على الصلاة ستجعله
تفضل من العمل. فلا علينا أبدًا أن نفكر أن نفس العمل الصالح هو الذي أوصله
إلى المعصية، هذا لا يكون بل العمل الصالح هو الذي يؤدي بك إلى خيري الدنيا
والآخرة. قال تعالى: "من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة".
وأيضًا حديث رسول الله "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام
دينًا". "وإن تطيعوه تهتدوا" - "ويزيد الله الذين اهتدوا هدى"
سنفسر لنا أن الإنسان يصاب بعد المعصية: هذا له وجهان، الوجه الأول
أن يكون هذا المصاب بسببه لكونه بسبب هذه السيئات، أو يكون
ابتلاءً يختبر به. "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون"

~~بسبب عمله~~

فلا بد من الاختيار، لكن هذا الاختيار أو هذه الحسنة ليست نتيجة عمله

الحسنة

يعني إنهم يقولون أيضاً من جملة الآية إن كانت من عندك تعني أنت

جلبتها وأنت قدرتها هذا لم يقله أحد وإنما قالوا من عندك أي بسببك

فالذي يقصد أن حكم الله عليه أصابه بسبب أمر أنه ليس للأفضل إذاً من حكم

النبي صلى الله عليه وسلم بسبب أن شؤم هذا يدخل في هذه الآية.

وبعض الاختلاف هنا في الآية أن الله قال ما أصابك من حسنة فمن الله

وما أصابك من سيئة فمن نفسك فكيف نجمع بينهما والآية التي قبلها قال

كل من عند الله إن الحسنة والسيئة فكيف نجمع ولماذا أضيفت من نفسك

نقول هذا لا تناقض فيه أبداً لأن الله رد عليهم في الأولى أنهم قالوا

في الأولى ما أصابنا من شر وشقاء وتعب هو بسبب النبي صلى الله عليه وسلم

يقصدون أن هذا مؤكداً أنه ليس من الله كأنهم يقولون أنت جلبتها

فنتج عنه هذه المصائب وما الله نتج عنه هذه المصائب فلا شك أنه منه

وليس من الله لأنه لو كان من أمر الله فلا علينا أن نصاب به. كأنهم يقولون

علاقة كون هذه الذي أصابنا من عندك وليس من عند الله أننا أصابنا

وجهل الله ونكرهم أنهم لم يصابوا بالمعاصي فهنا لم يعرفوا ولم يفرح بهم

المنافقين المؤمنين، المنافقون ما أحسنوا قالوا حاجزنا الله

ورسوله إلا غرورا " والمؤمنون قالوا " هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله

ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما " فمن الذي قال إن المؤمن له الأمن في

الدنيا بمعنى أنه آمن من الابتلاء ؟ = أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ ليس معناها

أنهم آمنون من الابتلاء وإنما بمعنى أنهم مطمئنون لا يخشون في قلوبهم ولا يخافون

إلا الله وهذا هو سياق الآيات لأن الكفار خوفوا إبراهيم عليه السلام فقال

لهم " أي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا

إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " فليس الأمن هنا عدم الابتلاء

والإنسان يبتلى ويختبر لكنه يكون مطمئن القلب.

فهؤلاء جعلوا هذه الجزئيات ليقدحوا في رسالة النبي صلى الله عليه

وسلم وقالوا لو كنت رسول الله حقا لما أمرتنا بما يشق عليه لعنت فأرادوا

أن يجعلوا ذلك قدحا في رسالته فالله سبحانه وتعالى حسم قضيته وقال له وأرسلناك

للناس رسولا ؟ هذه شهادة الله ؟ وكفى بالله شهيدا أي إن كذب هؤلاء

وكل من في الأرض برسالتك فيكفيك أن ربك الذي أرسلك يشهد أنك رسوله.

والإنسان الذي يحظى بشهادة الله تبارك وتعالى يكون مسلما لله أما غيره

فيكون في شد وكر وتشتت يحتاج لكثير جدا حتى يحسن صورته ويدافع عن نفسه

أمام الناس ؟ وكفى بالله شهيدا "

تفسير المشاكل في زمن الرسل عليهم السلام:-

الشيخ يريد ان يجمع لك ويبين لك أن هذا أمر مستقر أن

المناهضين ومعظم أعداء الإيمان والرسالة كانوا يستغلون المصائب التي

أصيب بها المؤمنون لضرب الإسلام فيقولون ذلك إما سببها ما الخطأ هو رسالة

النبي صلى الله عليه وسلم من الاستشهاد القتل في أحد المصيبة بالجهاد أو غير

ذلك فهم كالذين (وقالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا)

أي أنهم لو كانوا أطاعوا القاعدين ولم يذهبوا إلى الجهاد ما كان يحصل لهم هذه المصائب

يريدون منك أن تقول إن المتسبب في هذا هو المشركين إما يقصدون

أنه ما أصاب أتباع الرسل من المصائب هو بسبب الدين أو ما أصاب أعداء

الرسل من المصائب أيضا بسبب هؤلاء الرسل فيحملون ما يحدث لأتباع الرسل

أو ما يحدث لأعداء الرسل بسبب الرسل وهذا أصل عام وهو موجود إلى

الآن تجد من الناس الآن كل ما يحدث أي مصيبة يحملونها بسبب الدين

وبسبب الاستقامة وبسبب أهل الإيمان وبسبب الطاعة ويقولون لك

شخص طيب لكن أنت ستجد مصائب في حياتك ومشاكل مادية إن رحت

للاستقامة، أنت كامرأة لو ألبست النقاب ستجدين مشاكل كثيرة

فهل أحد هكذا ؟ ولابد أن نعرف أن هذا من أخص صفات المنافقين والكفار

أنهم يجعلون دين الإسلام بشكل عام أو الطاعة بشكل خاص يجعلونه سبباً في

المصائب فلهم أرادوا أن يشوهوا ذلك إلى الطعن في الدين نفسه وتزهيد

الناس فيه عليهم هذا فيه على باب فلا تغتر لقولهم.

قال الله تعالى عن آل فرعون: فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه.

وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم

لا يعلمون" "لنا هذه" أي نحن نستحقها كما قال قارون "إنما أوتيته على

علم عندي" أي أنا استحق ذلك وكما قال صاحب الجنة "ولئن رددت إلى

ربي لأجدن خيراً منها منقلباً" أي أن ذلك جاء لجهودهم وأنا إن رجعنا يوم القيامة

لعندي فيها أن الله هو الذي أعطاني ذلك فيما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة.

أي أنا مستحق لذلك ؟ أما المؤمن إذا أصابته حسنة أو نعمة فيعلم أنها من

عند الله ويعلم أنها ابتلاء "هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر"

هذا قول سليمان وكذلك قول ذي القرنين "قال هذا رحمة من ربي" أو أعطاني

من ربي فضله وكرمه "وكان وعد ربي حقاً" فالمؤمن إذا أصابته حسنة يعلم

أنها من الله ويعلم كذلك أنها ابتلاء أي أن الله سبحانه وتعالى يختبره ليرى

شكره ويعرف كيف يعمل فيها.

وكما قال أصحاب القرية "إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب أليم، قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم
قوم مسرفون" كما تركم عند الله أي أن الأمر بتقدير الله وبعلم الله
وليس من الرسل وإنما بما كسبت أيديكم وكلمة طائركم "معكم" تأتي؟
ما كسبت أيديهم أي ما سببه أو جعلهم عند الله إما بتقدير الله أو بسبب ذنوبهم
أي أن هذا خلقه الله وقدره وهذا أيضا بسببكم وبسبب أعمالكم.

شبه الله سبحانه أن طائرهم - وهو الأعمال وجزاؤها - هو عند الله
وهو حظهم، فهو معهم لأنه أعمالهم وما يترتب عليها من جزاء كما قال تعالى:
"وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" وهو من الله لأن الله تعالى قدر
تلك المصائب بأعمالهم، فهو كذلك تنزل عليهم المصائب جزاء على أعمالهم
لا بسبب الرسل وأتباعهم. كما قال الله تبارك وتعالى "فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم" أي هي عقوبة ترتبت على أعمالهم فما يحدث
من هذه المصائب إنما تحدث لهم بسبب كفرهم بدعوة الرسل

شبه الله تعالى أن القائلين هنا هم كفار ومنافقون ومن في قلوبهم مرض
والشائعة قد يطلقون على معنى واحد وأحيانا القرآن يفرق بين المنافقين
والذين في قلوبهم مرض وهنا تقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض"

التفسير: في قلوبهم مرض ربما يكونوا مؤمنين صحيحي الإيمان لكنهم ضعفاء الإيمان

لا يصبرون على الجهاد ويريدون أحكام الشريعة لا يصبرون على الامتحانات والأحكام

في قلوبهم ريب والمرض قد يكون مرض شهوة كما قال "فيطمع الذي في قلبه مرض"

وقد يكون مرض شبهة أو شك أو ريب كما قال "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا"

فالقرآن فرق بين المنافق الخالص الذي بالنسبة هو ليس منهم والذي في قلبه مرض

فائدة - وفي هذه الآيات - التي فيها تشاؤم الكفار بالنبي - رد على

الشخص الذي يرفض اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يصاب بمصيبة

ورد على المسلم المؤمن الذي يظن أن الاستقامة على الطاعة هي التي سببت له

المصيبة التي حدثت له، فالأول لا يريد أن يدخل في الدين حتى لا يصاب والثاني

دخل في الدين بالفعل ولكنه يظن أن الاستقامة على الطاعة معرضة للمشاكل.

ومنها رد على الأمر الذي يزعم أن المصائب التي تصيبهم بسبب ما جاء به

الرسول هو كفره بالرسول.

فلا عليك أبدا أن تكون طاعتك لله ورسوله سببا في أي ضرر يحدث لك

وإنما تحدث لك المصائب إما ابتلاء أو اختبارا ليرى الله قوة صبره واحتسابه

أو بسبب ذنب لتطهيره أو لتكفير خطاياه. بل طاعة الله ورسوله لا تكون

إلا خيرا في الدنيا والآخرة. ومثال ذلك ما أصاب المسلمين يوم

أحد بسبب مخالفتهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لا بسبب أنهم جاهدوا.

إن نفس خبيثة ونفس الابتلاء لا يلبث أن يخرج من الإنسان الذي لديه
أو ناقص، فنفس خبيثة تتعرض للاختبارات ثم تخرج أحدهم ناجحاً والآخر راسباً
وهذا ما جاء في القرآن لما رأى المؤمنون الابتلاء في الجهاد قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً، وفي هذا
رأوا المنافقون وضعاف الإيمان والمنافقون قالوا ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً
وقالوا غر هؤلاء دينهم وقالوا لو أطاعونا ما قتلوا ... إلخ هذه الآيات
فالابتلاء قد يخرج من الإنسان في زيادة الطاعة أو ضعف الإيمان.
وهذا الفرق بين المعادن الثابتة، وأن الإنسان كثيراً ما يظن في نفسه
أنه ثابت وهو في غاية الأمر وهذا من هذا الأمر الابتلاء فإذا ابتلي
لا يستطيع أن يصبر لذلك قال الله تعالى "فأما الإنسان إذا
ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا" أي ليس الأمر كذلك ومن الذي
قال أن الله إذا أعطاك فهذا يكرمك ومن الذي قال أن الله إذا حرمك
فإنه يهينك؟ من الذي جعل إعطاء الدنيا علامة مرضية على حب الله للعبد
بالعكس الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن كل ما يدل أنه يعطي الكفار الناس الملك
والعدة والقوة ويكون ابتلاء قال تعالى "ولولا أن يكون الناس أمة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة

"الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين" فمن أهم الأمور التي نزل بها القرآن لحل

إشكال ما يتوهمه الإنسان "أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع

لهم في الخيرات بل لا يشعرون" من الذي قال إن العطاء من مال وبنين

أن هذا علامة رضا من الله بالعكس هو فتنة قد كلف الإنسان بها وهو تابع

وقد كلف الإنسان منها وهو سبب حتى إطاعة فالإنسان قد يوفق إلى

طاعة من غير ذلك وقد يوفق إلى تعلم القرآن ثم يكون حجة عليه، قد يوفق أن يكون

صوته حسنا ثم يبتلى به ويفتن ويتاجر بصوته. فالعطاء القرآن هنا يؤكد للمسلم

أن كثيرا مما يتوهمه من حكمه على نفسه وعلى الناس ليس صحيحا. فالعطاء ليس

علامة رضا والمنع علامة رضا" العطاء والمنع ابتلاء "هذا من فضل ربي ليبلوني

أأشكر أم أكفر" فهذه قاعدة جاءت مبكرة من القرآن للصحابة لأنهم كانوا

سيتعرضون لنوع من الابتلاء شديد جدا فجرى فيه النظر إلى هذه المعاني

إذا لا علاقة أن تكون طاعة الله ورسوله سببا في أي مصيبة تصيب

المؤمن = فإن الإنسان الصالح يربط مصيبته بسبب إيمانه فهو جاهل

وهذا هو الصنف الذي جاء القرآن ينفيه هو أن من الناس من يخاف أن يدخل في

الإسلام حتى لا يبتلى الفتنة فقالوا: "إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا"

هذا صنف كان من الإسلام، الاستقامة لأنه يظن أنه الإسلام، الاستقامة سبب

في المصائب، والصنف الثاني هو المسلم الذي إذا أصابته مصيبة في الأموال

بإيمانه ولا يتشاءم على طاعة الله فيربط بين المصائب التي تحدث له وبين
الطاعة وهذا أيضاً ما أبطله القرآن

الصنف الثالث: هم الكفار، ويظنون أنهم إذا أطاعوا الرسول فهو السبب
من هذه المصائب بينما هذه المصائب من ذنوب أنفسهم ولا شك أن كرههم
للرسول مما يعجل لهم به العقوبة.

والشاهد من هذا أن نعلم أن الذي يصيبه هو بسبب النفس إما أن
يكون بسبب شئ فعله "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم" "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم ويعفو عن كثير"، وإما أن يكون ابتلاء وتمحيص ليستخرج الله
منه معاني الصبر والاحتساب والرضا ومعاني الإيمان فأما أن تقول
أن إتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم هو سبب ما أتى المصيبة هذا من الجهل
كمن يقول الدين ما جلب لنا شيئاً هذا سببها الالتزام وهكذا.

فائدة: من الناس من قال أن الرزق هو عدد المال؟ الرزق ليس كذلك
وحتى أوسع من ذلك، والمال يحتاج إلى بركة ولا يصلح أبداً أن يكون المعصية
سبباً من ضيق المال لك، والشيطان هو الذي يزين لك، كما قال لآدم: هل
أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ فمن هذه من كلام اللعين وصور له
أن هذه الشجرة هي سبب ضيق المعيشة وأنه إذا حرم من هذه الشجرة
فقد حرم من كثير فأغواه بما لم يغره به وأبلى، ويكون بالملك

كما سبق أول ما عُصي الله به الكبر والحرص ، كبر إبليس وحرص آدم فما دامت
هذه القصة تتكرر ذكرها لينبه الله تبارك وتعالى أن كل ما يعد به الشيطان الإنسان
لا يمكنه أن يكون صحيحاً وإنما هو كذب من الشيطان « يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » قال تعالى « إن وعد الله حق فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »

يريد الله أن تعرف أنك إذا طلبت لك أمراً وعرفت أن هذا الأمر يشق
تماماً أن هذا هو الخير لك وإذا وجدك الشيطان في شيء يشق تماماً أنه
شر عليك ولكن الشيطان هو الذي يزينه لك . فالشيطان يعد كل الإنسان
من إمكانياته الأولى أن يمنعك من طاعة الله تبارك وتعالى . « الشيطان يعدكم الفقر » ودائماً
الشيطان يقف لك على باب الطاعة يصور لك أن الطاعة ستضيع الوقت الذي عندك
لك . والثانية أن يزهدك في الحلال المباح وفي الطاعات ويزين لك كل امرأة أخرى
ولو كانت زوجتك أفضل منها ألف مرة وهذا هو عمل الشيطان فالشيطان من الأول همه
(عمله) أن يزهدك في الحلال وأن يقبحه في عينك وأن يزين لك الحرام ويحسنه في عينك
ويجعلك تشعر أن متعتك لن تكتمل إلا بهذا الحرام لذلك قال الله « الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » لذلك ربنا
يذكرنا دائماً بهذه القضية « يا ... إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور » فربنا يبين لك أنك إذا أطعت الله ثم أصبت بشيء إياك

أن تقر أن طاعتك لله هي سبب ما هذه الجنة ، والأمر الثاني أنه ليس

المعصية هي التي [illegible] أن تريك أهذا الذي [illegible] وإنما هذا أمر

مزيف هي الصورة من حيث زخرفها كذلك لا هي خير ولا هي باقية وحق

لو كان معه سيكون منعة زائلة لذلك الذين كانوا سحرة فاذا ما قالوا

لفرعون قالوا " لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض

ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا

وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى " كذلك طاعة الله خير وأبقى

طاعة الله هي العلاقة المصيرية في هذه الدنيا التي تشعرك أن الله يرضى

عنك وأي علاقة أخرى ممكن تنسيك طاعة تحببك بهم الله . الجمال ، الشكل

القدرة ، المال ، كل هذا يعطيه الله لأكثر الناس كفراً مثل قارون .

، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رزقه قوتاً

، أن تعيش هذه المعاني وسط عالم تفرض عليك عولمة الأفكار

هذا صعب جداً لأن كل ما حولك يعظم زخرفة الدنيا وزينتها ، والله سبحانه

وتعالى جعل الزينة أشكالاً كثيرة من الناس جعل الزينة غاية ما يعيش

له . فكل إنسان منا زينته تقيه ... يريده فيما تحدد إلى أي شيء

تسعى وماذا تطلب وهل الحياة الدنيا بالنسبة لك غاية أم أنها ممر ووسيلة

وهل أنت تعيش للآخرة أم تعيش لها .

فائدة = كل شيء في الدنيا لا قيمة له : كما قيل إلا ما ابتغي به وجه الله .

الله سبحانه وتعالى هو الذي علم الحياة الدنيا وهو الذي حكم عليها بالزوال "اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"

يشقى الناس من نظر إلى نفسه بعين الناس وهذه معنى قول عتبة بن غزوان " أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا "

فحتى نعيش ما كانت نفوسنا تملك زينة الدنيا وكذلك تقيم المجتمعات ولا تكاد تقدر سفاهة منه من لا يملك . فأصبحت نظرة الناس بغير ميزان الله ومن الذي قال أن أكرم الناس عند الله هو الطبيب أو المهندس أو غير ذلك فأكرم الناس عند الله أتقاهم . فمجتمع يكون فاقد لكل معاني الإيمان فيصنف الناس أكرمهم المجتمعات لمجرد أن الناس تقتني فيه ما ترغب وأنت كذلك ستظن مقدر ويقدرك لا تكاد لا يقيم الله لهم وزناً لمجرد أنه مشهور أو لمجرد أنه غني أو طبيب وأنه دكتور أو كذا وحقيقة حاله أنه مسلم ويعرف أنه على إيمانه ولكن يعلم موازين الناس باطلة ، فعليه أن يكون الإنسان في نظر الناس هنا مقبل إنسانه وهو عند الله لا يساوي شيئاً : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

ملاحظة لهذه الفكرة ذكرناها :

الأولى : أن العمل الصالح لا يمكن أن يكون سببا في شيء يحزنك
إنما ما يحزنك لشيء إما بسبب ذنوبك وإما هو امتحان وابتلاء

الأمر الثاني : أن حتى ما تراه عليه من هذه الدنيا من طاعة الله وهو
هو الذي يبقى لك ما تظل لك يومك فيها عطاء لتتم يومك . ولعله يشفع
أحد من الكون يعرف كيف أنت إلا أنت " بل الإنسان على نفسه بصيرة "

قال تعالى : " وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين "

وليعلم الله الذين آمنوا : المراد هنا أن يعلم ذلك واقعاً منهم لأنه كان مقدراً ، فنفرق بين العلم المقدر والعلم الواقع كمن أن أستاذ عنده العصر لكنه لم تقدم العصر بعد فإذا صليت العصر علمت أنك صليت العصر لكنه هو أعلم بأنك ستصلي واقعاً . فهذا العلم من الله لا يسبقه جهل والله سبحانه وتعالى لا يحاسب الناس على ما علم أنهم سيفعلونه وإنما يحاسبهم على ما فعلوه فإذا فعلوه كله واقعاً بعد ما كان معلوماً له سبحانه وتعالى مقدراً .

فربما يتعرض الإنسان لمصيبة ويظن أن الله يكرهه ولكن الله يحبه
يحصل لك مصيبة لتكفير من مصيبة أكبر أو لتغفر عنك ذنوب ومن الدلائل
قال أن تفرج الله للكربات ؟ أن تزيل الله الكربات ؟ فيلزمك أن يكون

Subject ____ Date / / ١٨

تفريج الله للكربة أنه يبتليك بكربة لتشعر بفقرك وضعفك ولذلك ليس سيعطي

ويبقى أداء أن الله سبحانه وتعالى سد للمبتلى أبواب الحمد

فبالتالي أنت إذا فهمت أن تفريج الكربة من محبة الله فأنت تحظى بفضله

أنه يبتلي الكربة ويلهمك التحرك للاستجابة ومنه مثلاً أن تكثر الدعاء ومنها

أنك لست بغني فتتكلم. وإنما صرت تحب عمله

فحينما يبتلي الله سبحانه وتعالى العبد فلا يمكنه أن يكون البلاء شراً من كل وجه

وإنما يتحول هذا البلاء إلى خير بالصبر والاحتساب قال النبي صلى الله عليه وسلم

إن المؤمن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء

صبر فكان خيراً له فما صعبت الضراء هي كثير لأن هذه الضراء ستكون بالأخطاء له

ويمكن أن يكون هناك مقام عالٍ من الإيمان لن تبلغه إلا بالصبر فتبتلى لتصبر.

فائدة ← هناك باب واحد فقط يمكنه أن تكثر عليه ويعطيك من الطاعة

أما ما عداه من المال والبنين ومتاع الدنيا مهما أعطاك لم يبقى معك فالله يذكر له

وتعالى قال "المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات

خير عند ربك ثواباً وخير أملاً" فالذي تحمله عند الله هو الطاعة والعمل الصالح

مع ذلك الذي ما يأتيك ولكن هناك فرق بين أن تسعى لتعيش وأن

تسعى لتعيش له.

الجمع بين الحديثين :

الحديث الأول: ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر عنه بها من خطاياه

الحديث الآخر: ما بال المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر.

والمراد من الحديثين أن المصيبة للمؤمن تكفر سيئة ولكنه لا يأخذ الأجر إلا إذا صبر وإنما يأخذ الأجر بالصبر عليها ولكن الإنسان يستحضر عند المصيبة أنها تكفر عنه خطاياه لأنه تحله المصيبة حتى الشوكة يشاكها والاحتساب يهون تحمل المصائب وليس صفات الكمال والمضاعفات الإلهية مجرد أن الإنسان يكفر سيئاته أن الله الصبر على ذلك يحقق كرام الإنسان إذا خرج من خطاياه , وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى : ليصيب الله أيا من منهم الصالحين لقول أبي بكر إذا أحسن إلى إنسان لا يحسن لمكافئته الإنسان وإنما يحسن لوجه الله فإذا عمله لله قربانًا فيه وكونه مريض : قول الله تعالى فلعل أن الإنسان عملا لمن يجزاه على

فائدة : أي طريق تسلكه من الخير تصاحبك هذا الطريق يكون كل مصيبة في الشيء ... كل هذا يكتب للعبد به كله من جزاء تعالى

"ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح،
إن الله لا يضيع أجر المحسنين" فمثل الجوع والتعب والمشي في الطريق
عمل صالح) لكن لما احتسبت بهذه المشقة فأنت تسلك الطاعة كتب لك
به عمل صالح تصبر له عليه وكذلك أجرا هديتك لنفسك.

فائدة = جهل الإنسان يكون سببا في المعصية) والإنسان إذا قرأ كتاب
الله وتدبره سيعلم أن ربه غني عنه وهو ربه الغني فلن يأمره بشيء
يكون فيه كدر له أو هلاك له في الدنيا والآخرة فيدفعه إلى أن تكون طاعة الله
هي الخير دائما، الشيطان هو الذي يصور لك أن طاعة الله ليس فيها خير
انظر ماذا قال الشيطان لآدم "ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا
ملكين أو تكونا من الخالدين" أي أن ربكما نهاكما لأنكم لو أكلتم أصبحتم ملائكة ولا يريد
لكم الخير فلذلك نهاكم عن الشجرة التي ستجعلكم ملكا فالكذب من الشيطان
يصور لآدم عليه السلام أن طاعة الله سببا في الشقاء وأن طاعته هو
سيكون سببا في الخير لذلك قال الله تعالى "فدلاهما بغرور" "فأزلهما الشيطان"
فمجرد أن يأمر الله سيكون هذا الأمر حسنا ونافعا وأنه مصلحة للعباد
وليس كما يقولون قد يأمر الله العباد بما لا مصلحة لهم فيه إذا فعلوه بل فيه مضرة لهم
وهؤلاء هم الجبرية وهم جهلة في باب القدر ولهم معتقدات شنيعة وأنواع البطلان

ويزعمون أن الله يفعل ما شاء بغير حكمة ويزعمون أن الله يكلف عبده

وهذا من أجهل وأبطل العبارات التي قالها الجهمية الجبرية فيقولون

أن الله عليه أن يدخل كل الأنبياء النار ويدخل كل الكفار الجنة

وهذا أبشع ما قيل وأن الله يأمر بالزنى وينهى عن العفة ويأمر بالشرك

وينهى عن الصلاة أو التوحيد وهذا من أعظم الكفر وهذا من جهلهم

وظنهم أن هذا معنى "أن الله على كل شيء قدير" أو يفعل ما يشاء

وهذا باطل فإن الله حكيم وإن كان يفعل ما يشاء ولكن بحكمة وعلم ولا يكلف

عبده.

شرح/ الشيخ/ عبدالرزاق

(الدرس الرابع)

كتاب الحسنة والسيئة لابن تيمية

①

Subject:

Date: ١٨ / ٨ / ٢٠٠٠

ص ٢٧

(إبطال قول الجهمية والجبرية)

هم يقولون نفاة الحكمة والأسباب ينفون حكمة الله تبارك وتعالى ويقولون أن الله يفعل ما يشاء ولا يثبتون حكمة الله، فالله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير ولا معقب لحكمه ولكنه عليم حكيم يضع الأشياء مواضعها والقرآن يرد على هؤلاء من وجوه كثيرة كما يرد على المكذبين بالقدر فالآية ترد على هؤلاء وهؤلاء.

نقول أن الجبرية يحتجون بهذه الآية لأن الله قال "كل من عند الله" والقدرية يحتجون أيضاً وهذا من جهلهم لأن الله قال ما أصابك من سيئة فمن نفسك والآية ترد على هؤلاء وهؤلاء، فالآية تثبت أن الكل من عند الله خلقاً وتقديراً وتثبت أن الإنسان له فعل، فهي تثبت خلق الله ومشيئته لفعل العبد وتثبت أن العبد فاعل بقدرته واختياره ومشيئته

وأما قول نفاة القدر - المعتزلة - الذين قالوا أن الله لم يخلق شيء من أفعال العباد وإذا احتججنا عليهم قالوا لأن ربنا تبارك وتعالى قال ما الحسنة من الله وما السيئة من نفس الإنسان قالوا هذا المقصود منه أن الله أمر بالحسنة ونهى عن السيئة. ويقولون أن السيئة والأمر واحد فعل ما شاءه الله فقضاه به وكل ما أمر به فقد شاءه حتى ينفوا أن يكون الله خالق فعل العبد

يعني ابن تيمية أن ما تكلمتم أنتم فيه ليس له علاقة بتفسير الآية
الآية أن الحسنة معصية أو طاعة من أفعال الإيمان أو الكفار، إنما جاءتهم حسنة فقالوا
هذه من عند الله يا محمد أي بسبب دينك أو بسبب تدبيرك، وإنما عنى الله
لم يتكلم إلا عن الخلق ولا عن المشيئة ولا عن القدر أصلاً.

ولو قيل أن الطاعة والمعصية هي المقصودة أنهما مقصودتان من قول
الله ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة فهذه حجة عليكم لأنه قال
كل من عند الله فهذا حجة على خلاف قولكم لأنكم تزعمون أن الله سبحانه
وتعالى لا يقدر على أفعال العباد ولم يخلقهم ولم يشأ أفعال العباد

يريد ابن تيمية أن يقول أن الله سبحانه وتعالى عندما قال أن السيئة من
الإنسان ليس معناها أن الإنسان خلقها وإنما معناها أن
الإنسان فعلها بمشيئته وقدرته وإن كان الله سبحانه وتعالى خلقها وقدرها

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين أمرين: يريد أن يبين إبطال قول
المعتزلة أو القدرية بشكل عام والذين يزعمون أن الله لم يشأ
ولم يخلق أفعال العباد وأن هذه الأفعال من إحداث الإنسان
ثانياً يريد أن يبطل احتجاجهم بهذه الآية على معتقدهم، فقال لهم أنتم
تقولون أن الله ليس له قدرة على عباده وليس له فعل ذاته لم يخلق

أفعالهم ولم يشأها وهذا خلافاً لما جاء به القرآن، فهو يبطل

قولهم من جهة ويبطل استدلالهم لهذا القول من القرآن من جهة أخرى.

لماذا أفرد الله من الحسنة والسيئة فجعل الحسنة من الله والسيئة من نفس الإنسان؟

الفرق الأول: أن الله ينعم بحسنة ويقع ذلك ابتداءً بلا سبب،

أي أن الله سبحانه وتعالى إنعامه يكون بمحض فضل بلا سبب متقدم، والعقاب يكون بسبب

أي بسبب جنايته، فالفرق بين باب العقاب وباب النعم أن باب العقاب

لا يكون إلا بسبب الإنسان، وأما باب النعم إنما يكون ابتداءً من الله تبارك

وتعالى دون سبب من الإنسان، أي الفرق بين العقاب وبين الإحسان

أن العقاب لا يكون إلا بسبب الإنسان، أما الإحسان فيكون من الله تبارك

وتعالى ابتداءً أو يكون بسبب من الإنسان.

الفرق الثاني: فرق بين الطاعة والمعصية، فهذه الطاعة هي من الله سبحانه

وتعالى لأن الله هو الذي هدانا وهو الذي خلقنا وهو الذي جعل لنا الوسائل

التي نهتدي بها وهو الذي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ومنّ الله علينا

كما قال الله سبحانه وتعالى: "بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان"، فجميع

ما تطلب منه الطاعة من خيري الدنيا والآخرة فهو نعمة محضة منه بلا سبب

سابق يوجب لهم حقاً، ولا حول ولا قوة لهم من أنفسهم إلا به.

يريد أن يبين أن كل عمل صالح وكل نعمة بالعباد هي من الله سبحانه وتعالى بقوله "ما أصابك من حسنة فمن الله" فهو من كل وجه ظاهراً وباطناً على مذهب أهل السنة، من كل جهة سواء أن الله هو الذي خلقها وقدرها وهو الذي هدى إليها وهو الذي حبب إليك الإيمان وزينه في قلبك ويسرك إليه.

وأما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد وذنبه من نفسه وهو لم يقل: إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه، بل ذكر للناس ما ينفعهم، فالله ذكر الشيء الذي ينفع به الإنسان حتى يستغفر ويتوب من ذنبه تعالى كرمه سبحانه وتعالى. ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. فالأفضل أن ينسب الله إلى الإنسان له سبب هو الذي فعل الطاعة، وهو الذي فعل المعصية فجعله مسئوله نفسه، وإن كان الله هو الذي قدر ذلك وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، وعلى كل قضاء قضاه سبحانه وتعالى ولكن وجه هو مولاه.

وهنالك معنى آخر يقول "الله خالق كل شيء" وقلنا "وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" هذا باب وهذا باب أحياناً يحتاج الإنسان أن يعلم أن هدايته من الله وأحياناً يحتاج أن يعلم أنه سبب في هداية نفسه بالأسباب التي أخذها.

فائدة: العقوبات أو المصائب التي هي جزاء أو عقوبة هي التي يجب أن نقال أنها من نفس الإنسان أما المصائب مثل عام فيه حكمة

أن يكون منها جزء استدراج واختبار، ولكن يعلم الله تبارك وتعالى

شيخ الإسلام ابن تيمية: حكمة الله لماذا أسند الله النعمة إليه أما الحسنة

يسند السيئة إلى العبد لأن العبد إذا علم أن النعمة من الله شكر فزاده

الله، وإذا علم أن السيئة من نفسه كانت من هذا الشر واستغفر كما قال

الله: "أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو

من عند أنفسكم" ويقول الله سبحانه وتعالى في ذات القرينة قال هذا رحمة من

ربي، ويقول سليمان: هذا من فضل ربي، وفي الحديث: إذا أصابته ضراء صبر

وإذا أصابته سراء شكر

فالنبي يستعيذ بالله من سيئات الخطايا فإذا وقع فإنه يستعيذ

بالله من سيئات الأعمال أي عقوبات الأعمال. وكان النبي يقول "نعوذ

بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا" فالإنسان يحمد الله على

النعمة ويستعينه على عمل الصالحات ويستعيذ بالله من شرور نفسه ومن سيئات

أعماله. ∴ الشكر والاستغفار والاستعانة والاستعاذة.

لماذا جمع الله وفرق؟ جمع حيث يقع الجمع وفرق حيث يقع التفريق

ففرق حتى يعلم العبد أن ما به من نعمة وهداية وطاعة أتاك نعمة من

الله فيشكر الله ويستعين الله ويستزيد الله وأنه علم أن المعصية منه فيتوب

عن هذا السبب والمعصية من شر نفسه ومن سيئات عمله.

والمؤمن إذا ضعف ووقع في معصية واستغفر الله تبارك وتعالى واستعاذ بالله من شر نفسه ومن سيئات أعماله فقد تأسى بالسعداء من الأنبياء أما إذا احتج بالقدر وقال الله كتب علي ذلك فقد تأسى بالأشقياء إبليس والعاصين.

" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " = الذين يقولون هذا الدعاء هم الراسخون في العلم أي يا رب لا تجعل قلوبنا تميل عن الحق بعد أن كانت على الهدى وهذا أثر كذلك الإنسان يمكنه أن يضل بعد هدايته فيدعوا ربه أن يثبت قلبه وأن لا يزيغه، ويعلم الإنسان أن إزاغة قلبه إنما تكون بسبب من نفسه فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " فنعوذ بالله تبارك وتعالى من ذلك

ماذا العلم بذكر الله التقريعية من كتبه والسنة ؟

لو قال الله في القرآن كل من عند الله دون أن نذكر الفرق بين الحسنات والسيئات والمصائب والنعم من عند الله سيقول الإنسان ما دام هذا من عند الله ولم يذم نفسه ويعرض عن التوبة ويقوم من نفسه أن يحتج على الله بالقدر لذلك كل من عند الله.

فلا بد أن يحمله الله مسؤولية كاملة مع أن الله سبحانه الله خلقاً

ولقدّره ويكون له ولكن مع ذلك ليس أن له قدرة ومشيئة واختياراً

فمن أسباب أن الحكمة في هذا التفريع لكي يجمع على المعنى من

التي سمّوا أن هذا من الإشكال وهذا التي أشكل لأن هذا هو الذي

زاد الآية بياناً كما قول الله مثلاً " نبئ عبادي أني أنا الغفور

الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم "

الفرق الثالث: أن الحسنة تضاعف وتنمو ويثيب على الإيمان بلا

والسيئة لا تضاعف، ولا يتواجد على الإثم بل . فيعطى صاحب الحسنة من

الحسنات عشر أمثالها، وصاحب السيئات لا تجزيه إلا بقدر كله قال تعالى

(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم

لا يظلمون)

الفرق الرابع: أن الحسنة مضافة إليه لأنه أحسن بها من كل وجه، وأما السيئة

فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، وأن الرب لا يفعل

سيئة قط بل فعله كله حسن وحكمة، وفعله كله خير، وكان النبي صلى

الله عليه وسلم يقول " والخير بيديك، والشر ليس إليك " فليس في أفعاله

شر محض، بل ما يكون شراً مثلاً للكفار، خيراً للمسلمين.

Subject   Date / /

فائدة: مشكلة الشر هي التي يتمسك بها الملحدون وأمثالهم
يقولون أن وجود الشر هذا ينفي أن يكون الرب حكيماً أو عليماً
وهذا من جهلهم، وأنهم يسلطون العقول على أفعال الرب
ويجعلون تدبيرهم لأشياء عامة، ولا يبصرون الحكمة فيه ويغيبون
عن كل ما في الدنيا من الخير والإحسان والعدل، ولا يركزون نظرهم
إلا على ما يرونه أنه شر، ولو أثبتوا نفي وجود الرب تبارك
وتعالى والإثبات وجود الظلم أو إثبات وجود عدم الحكمة ونحو ذلك.
والشر الذي ليس إلى الله هو الشر المطلق أو الشر المحض
ولا يجوز أن ننسب الشر مفرداً إلى الله قط، فأما أن يدخل في عموم
المخلوقات كقوله (خالق كل شيء) وإما أن يضاف إلى السبب كقوله
(من شر ما خلق) ننسبه إلى المخلوق.
وإما أن يحذف فاعله كقول الجن (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض
أم أراد بهم ربهم رشداً) أو كقوله (وإذا مرضت فهو يشفين)
(أدب الأنبياء) أي لا ننسب الشر إلى الله تبارك وتعالى.
القدر: هو أن الله سبحانه وتعالى علم وكتب وشاء وخلق كل شيء
ومنه أفعال العباد ومنه كذلك أن الإنسان له قدرة ومشيئة.
بها يفعل فعلاً أمراً اختيارياً، هو فعل له فإنه يكتسب كله

وكل ما خرج من طاعتك واختيار له فلا تحاسب عليه (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)

والجبرية: قالوا ان الانسان مجبر على افعاله وهم مثل لفعل الله أي أن الله سبحانه وتعالى خالق فعل الانسان وما كل فعله والانسان ليس له قدرة ولا مشيئة حقيقية والقول بالجبرية والاشاعرة يقولون بقريب منه.

القدرية: وهي اسم المعتزلة والقدرية الاوائل كانوا يقولون لم يكن الله يعلم بافعال العباد اصلاً لكن هذه الفرقة كفرها العلماء وربما لم تعد موجودة ويقصد المعتزلة الذين ينفون مشيئة الله وخلقه لافعال العباد يقولون أن الله لم يشأ ولم يخلق افعال العباد

وشبهتهم اولاً أن الله لو خلق افعال العباد فقد خلق المعاصي وأراد المعاصي وهو لا يمكن أن يريد المعاصي والشبهة الاخرى أن الله لو خلق فعلهم وحاسبهم فيكون هذا من الظلم

ومن اشنع ما قالته الجبرية أن الله لا يحكم لحكمة وما ثم فعل مترتب لحكمة بل كل ما كان ممكناً جاز أن يفعله وجوزوا أن يأمر بكل كفر ومعصية وينهى عن كل ايمان وطاعة ويمكن أن يدخل كل الانبياء النار ويدخل كل الكفار الجنة

ونفوا حكمة الله سبحانه وتعالى فاعل ما يريد وشاء

هو لاء ضلوا أن محو قدرة الله ومشيئته لكل شيء يدل على أنه يفعل أو يأمر بأي شيء وهذا منكر من القول وزور كالأول الذين نفوا القدر

الأدلة على التفريق بين الحسنة والسيئة وبين المطيع وبين الفاجر وبين المؤمن والكافر وهذا النص رد على هؤلاء الذين يسوون هذا بهذا

قال تعالى "أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون" وقال تعالى "أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار"

وفيه الإمام ابن تيمية أن الأمور التي تظنها الناس شرا من كل وجه فيها حكمة ورحمة والشر نسبي وشر إضافي لا يكون شرا كليا عاما ولا يمكن أن يكون هناك أمر تام شر للناس من كل وجه. كإرسال رسول عام وكالمطر العام

وفيه أنه أيضا لا يمكن أن توحيد الله يكون منافي للعقول وهو كذلك هذا لا يمكن أن توحيده الله بما أيدته الأسباب الصادقة.

وقد يتبع الله الملك الظالم الجبار يحصل على يديه ومن قبل الشكوى له بإرسال ظالم، وهو قبله لعلة راجحة لا إعلام. فكرة اسم مختلفة في

أن يد الله لمن يرى المشقة وأن يد الله للملك الظالم لقصد أن الله المطلق

فالله سبحانه وتعالى يقضي عدل السنة في الملك الظالم على كل شيء قدرة

بين الإمام ابن تيمية أنهم اشتركوا في أصل وذلك أنهم اختلفوا في المشيئة

لأن القدرية ينفون خلق الله ومشيئته للأفعال والآخرين يجوزون على الله

فعل كل شيء . وهؤلاء من باطل وهؤلاء من باطل .

الجبرية قالوا كل ما هو صادر من الله يجوز أن يفعله أي كل ما قدر كلفه

لفعله . وهؤلاء ينفون الحكمة وهذا القول باطل وقالوا إن الأشياء

التي أمر الله أنه لا يفعلها هي التي تميز . فضلال هؤلاء من الذين يوجب

أعظم من أنهم نفوا حكمة الله وليس هناك صفات في أشياء تجعلها

حسنة تختلف عن الأشياء الأخرى ليس هناك صفة تجعل ربنا يفرق بين

هذا وهذا وهذا من أبطل الباطل الذي قاله هؤلاء وهو مخالف للقرآن

الذي بين الله سبحانه وتعالى فيه الفرق بين المؤمن والكافر وأكرم الله المؤمن

وعقوبة الله للكافر .

كتاب الحسنة والسيئة
للإمام ابن تيمية

شيخ/ حسن عبد الرازق

Subject

Date ٢٠٢٠/ ٨/ ١٩

ص ٤٧

(الدرس الخامس)

يبين ابن تيمية رحمه الله لماذا جمع الله وفرق بين الحسنة والسيئة

فقال " كل من عند الله " ثم فرق بينهما فقال " ما أصابك من حسنة فمن

الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك " فبين أن الحكمة العظيمة من ذلك

أن الله بين ما ينفع العبد فإذا علم العبد أن ما به من نعمة فمن الله سواء

العمل الصالح أو النعمة التي رزقها العبد إذا علم أنها من الله بقي شاكراً

ولم يفتخر بنفسه وإذا علم أن السوء والشر والسيئات من نفسه وأن

المصائب تصيبه بسبب ذنوبه فإن ذلك ينفعه لأنه يبقى مستغفراً

ويسعى في إزالة ذلك السبب الذي تحصل منه المصيبة فما ينفعها

للعبد هنا أن يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وما به من معصية فمن نفسه

بين ابن تيمية هنا المعنى وقوله " أن ما أصابك من حسنة فمن الله

وما أصابك من سيئة فمن نفسك " فبين أن الخير من الله وأن الشر من

العبد وهذا ما يبينه القول المنسوب لعلي بن أبي طالب وهو قول من الأقوال

العظيمة جداً أنه قال " لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن عبد إلا ذنبه "

ما أصابك = كاف الخطاب = هل المراد هنا هو رسول الله صلى

الله عليه وسلم وحده أم المراد الأمة أم يراد الأمة ولا يراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا من المواضع التي اختلف فيها بشكل عام

Subject ________ Date / /

مواضع كثيرة جداً في القرآن يوجه فيه الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أو ما كان الخطاب = " يا أيها النبي اتقِ الله " - وقصد بهذه الخطاب الإيمان "

لئن أشركت ليحبطن عملك " - ولا تكونن من الخاسرين بل الله فاعبد "

فهذه الآيات كثيرة جداً في القرآن فلابد للطالب العلم أن يعرف كلام العلماء هل

هل المقصود هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أم المقصود رسول الله

صلى الله عليه وسلم ويدخل الأمة معه أو المقصود الأمة وليس المقصود رسول

الله صلى الله عليه وسلم.

سيحاول الإمام ابن تيمية أن يشرح ذلك لنا وأن يذكر كلام أهل العلم:

يقول ابن تيمية كان الخطاب هنا ويلاحظ أنه أنه من أن لا نظن أن المراد هنا

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبب في ذلك أنه هنا هو الأصل.

" وأرسلناك للناس رسولا " فالكاف هنا ...

وهو أن المراد الناس وهو أي أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن هذا ضعيف لأنه لم يتقدم هنا ذكر الإنسان ولو كان يوهم لفهم

أن هذه الآية تقتضي أن سيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسنة من

سيئة فيه نفسه وأن هذا ربما أشعر بأنهم قالوا هنا المراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم بل المراد غيره . قالوا الخطاب له والمراد غيره وهذا

ليس صحيحاً بل ما جاء في القرآن من ذلك فأول ما يدخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه أيضاً أن هذا هو الأصل وهذا هو تقييد الصحابة ومن بعدهم

رأيناهم لم يقدموا ذكر الآيات هنا ولكن نقدم ذكر طائفة بأن الله

معهم إنما يلوموا أيديكم الهمة ولو كنتم في بروج مشيدة وأن تصبهم حسنة

يقولوا هذه من عند الله فالله سبحانه وتعالى لم يقل ما أصابهم من حسنة

وما أصابهم من سيئة وإنما قال ما أصابك فهو على هذا أن الكاف يراد

بها النبي صلى الله عليه وسلم.

فائدة = أن خطاب الشرع الناس وإن كان بأمر أو نهي وليس معنى ذلك

أنه سيقع الأمر أو أنه سيفعل النهي وإنما هو خطاب له وكذلك

ما يتعلق في تعليق الحكم على شرط لا يستلزم وقوع الشرط كما

قول الله تبارك وتعالى "لئن أشركت ليحبطن عملك" وكذلك قول

الله تبارك وتعالى "من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين"

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة "لو سرقت فاطمة بنت محمد

لقطعت يدها" كل هذه أحكام معلقة على شروط لا تستلزم وقوع الشرط

هنا نبه الإمام ابن تيمية رحمه الله على أن بعض من المفسرين يأتي على مثل

هذه الآيات فيقول ليس المقصود هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما المقصود أمته وهذا ليس صحيحاً إنما أول من يدخل في الأمر والنهي

هو النبي صلى الله عليه وسلم لشرفه، وليس معنى ذلك أن النبي صلى الله

عليه وسلم وقع منه هذا الشرط "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك"

ليس المراد أنه حصل منه شك ولكن الله يبين الحكم على فرض هذا التقدير، وهذا شرط .

ولو تتبعنا في القرآن الأمر والنهي للنبي صلى الله عليه وسلم سنجد أنه أكثر من أمر ونهي وذلك لشرفه ولمقامه عند الله تبارك وتعالى وكلما عظم قدر الإنسان وكثرت كمالاته كثر الأمر والنهي له وستجد أكثر الأنبياء عليهم السلام . فكان الخطاب هنا كما بين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن أول من يدخل فيه هو النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو خطاب لجميع من بعده وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ونهي فمن بعده أولى أنه يؤمر وينهى .

بين الإمام ابن تيمية رحمه الله أن الخطاب ليست دائماً تكون للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن بعده قد تكون خاصة به كما قال الله سبحانه وتعالى "ولسوف يعطيك ربك فترضى" هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم والذين معه هذا عاماً في كل الناس أطاعوا لأن سورة الضحى تتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد يكون له وجه أن المسلم يشجع من هذا إذا أن الله إذا يعتبر (الطاعة) نعمة الله وكون ذلك لكن هذا يراد به النبي صلى الله عليه وسلم "وأرسلناك للناس رسولا" فكان الخطاب هنا لا شك أنه خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم .

فرق الإمام ابن تيمية بين تقدير الله للذنب وطلع الله للذنب وأنه

وخلقه لحكمة تبارك وتعالى، وكذلك فعل الإنسان هنا للذنب، فالإنسان هنا

إذا فعل الذنب لا يفعله لحكمة وإنما يفعله لهوى نفسه، والعاصي صور شر لكن

الله سبحانه وتعالى لما قدره وخلقه وشاءه إنما شاءه لحكمة فهذه حكمة

من الله تعالى إليه، ومن هنا الشر ليس إليه تبارك وتعالى.

فائدة: من أسماء الله تبارك وتعالى والأسماء أنه يذكر الأوصاف سبحانه

مثل صفة المكر والكيد والخداع والاستهزاء كل هذه الصفات مقيدة فهي حسبما

ذكره الله سبحانه وتعالى: "إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا"، "الله يستهزئ

بهم"، "يخادعون الله وهو خادعهم". فلا يجوز أن نذكرها مطلقة لأن الكمال

فيها أن نذكر هكذا "إنا من المجرمين منتقمون" لا أن نقول بشكل عام أن الله

منتقم وإنما نقول إن الله منتقم من المجرم.

يريد الإمام رحمه الله أن نقول إن الحسنة تضاف إلى الله من كل وجه

والحسنة هي فعل الحسنات أو النعم التي يرزقها الناس. والسيئة لا تضاف إلى

الله إلا من جهة العموم كأن نقول كل من عند الله أو نضيفها من جهة أن الله

خلقها وقدرها

فائدة: كل ما هو موجود من شر فهو شر جزئي أو إضافي وفيه من كثير

الحكم والحكمة والرحمة أضعاف ذلك: أي لا يعلم أن يكون شرًا من كل

وجه فيكون فيه خير عام ربما العقل الإنساني قد يستنكره ربما لا يصل عقله إليها.

فمثال ذلك أن فرعون كذب موسى وهداه فترك ذلك أثرًا في نفس من يؤمن به
إضلاله فرعون وإضلاله قوم فرعون وكذلك حصل به نفع عام للعالم وإنجاء
المتقين وهو قصة فرعون قال تعالى بعد ذكر قصة فرعون «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى»

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم شقي برسالته طائفة من مشركي العرب
وطائفة من أهل الكتاب، وهم الذين كذبوه، وأهلكهم الله بسببه ولكن بعد
أن طغوا طغيانهم هذا.

قال الله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» إن الله سبحانه وتعالى
أرسله لذلك لكن هل تحققت الرحمة بالنبي صلى الله عليه وسلم لكل أحد
أم فقط للمؤمنين الذين آمنوا به فالرحمة هنا غاية هي مرادة للعالمين ولكن
لم ينتفع بهذه الرحمة إلا من آمن به صلى الله عليه وسلم.

والله سبحانه وتعالى أرسل الرسل لكي يطاعوا قال الله تعالى «وما أرسلنا من رسول
إلا ليطاع» فأنزل الكتاب ليعمل به وليس كل رسول أُطيع فمنهم من هدى
الله ومنهم من حقت عليه الضلالة.

كذلك القرآن «شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا»

فقد بين ما أرسل به الرسل وبين الغاية التي حدثت. فأرسل الرسل
ليكونوا رحمة للناس لكن هل كل الناس تحققت لهم الرحمة بإرسال الرسل.
منهم من هلك ومنهم من طرد لكفره ونفاقه وهكذا.

لم تحل الأحكام الشرعية رسالة النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

مبدأ الحسنى الذي عرضه بعض المفسرين أن عموم الناس رحموا بالنبي
صلى الله عليه وسلم ، فهناك من رحم به وهناك من شقي برسالته لكن
القرآن هناك من اهتدى به وهناك من شقي به)

بين ابن تيمية أن هناك نوع من الرحمة بأن هؤلاء لم يعذبوا لكان
كفرهم أعظم.

لا تتحدث
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » = هذه الآية لا تتحدث
كما سيقول الشيخ الأحمر وإنما تتحدث عن مقصد الرسالة أن الله
ما أرسله إلا ليرحم به العالمين ويرحمون بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا أطاعوه
فحصل هذا بدخول فيه من عصاه ولكن رحم به من رحم والله أعلم.

بين ابن تيمية أن الخير الذي حدث بالنبي صلى الله عليه وسلم أعظم
من الشر الذي حدث به بمعنى أن الشر الذي كان جزئيا فالناس هم الذين
تسببوا في هذا الشر لأنهم لم يطيعوه فكان شرا عليهم بسبب معصيتهم
ولكن الخير الذي حدث برسالته أعظم بما لا مجال للمقارنة بينه وبين
نحوه. فأكثر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم خير تام ونعمة عامة أما
الشر الذي كان جزئيا وكان بسبب إعراض الناس.

الفرع الخامس: بين الحسنات والسيئات

ابن تيمية هنا يريد أن يفرق بين الحسنة والسيئة فبين أن الحسنة
لابد أن تكون وجودية ، وأما السيئة ترك الطاعة وترك الحسنات سواء من

وجودية لأن الإنسان إذا ما مرّ شيء ولم يفعل هذا النهي وقصد تركه يعلم
أنه ذنب طبيعي وأنه سبب للعقاب وكره هذا الفعل ويتوقف عن هذا الفعل
إذا اشتهاه فكل هذه أمور وجودية. والمعتزلة يرون أن الثواب يترتب على أمر وجودي
وليس على أمر عدمي فالترك أمر وجودي على عكس بعض الناس يجعله أمر عدمي
والإنسان لا يثاب على تركه شيء إلا إذا تركه لله. وأيضا إذا فعل الإنسان
حسنة ولم يرد بها وجه الله فهي ليست حسنة ولا يثاب عليها. فالكافر عليه أن
يفعل كثيرا من الخير ويترك كثيرا من الشر لكنه لا يثاب ثوابا كاملا على ذلك
فقد يثاب في الدنيا وتعظيم [illegible] ولكن ليس له ثواب كامل وليس له
ثواب في الآخرة لأنه لم يرد بذلك وجه الله.

يريد ابن تيمية أن يقول أن ترك المعاصي ومقتضيات كل هذه أمور
وجودية ومعناه أن الإنسان لا يثاب إلا على شيء موجود وليس على شيء معدوم.

فالترك = ترك الإنسان المقصود هذا عبارة
عن شيء لا يشتهيه لكونه لا يريده ولا يتركه لكونه لا يريد لكونه لا يشتهيه
عند المعتزلة أن يثاب عليه الإنسان ولا يثاب عليه إلا إذا كان تركه يقتضي
العبادة أي أنه تركه لله لأن الله [illegible] يبغضه ولا يحبه [illegible] على
أن الحسنة لا يثاب عليها إلا إذا فعلها لله فكذلك السيئة لا يثاب على تركها إلا إذا
كان تركه لله.

خطأ الجمهور أنه يمكن الذين يقولون أن الترك عدمي كأبي هاشم الجبائي

Subject ______ Date / /

وهم من المعتزلة - فالترك هو شيء وجودي - الإنسان الذي يترك شيء يقوم بفعل هذا شيء موجود وليس عدمي فهو يقوم بفعل هذا الترك فيعد فعل - والترك يكون عدمي إذا لم يخطر بباله ، فلا بد علم أن الشيء هو شيء ووثني ويعلم أن الله لا يحب ذلك ويتركه ليثاب على ذلك سواء اشتهاها أم لم يشتهيها فهذه صفة وجودية يثاب الإنسان عليه .

فائدة: كل من لم يعبد الله وحده فلا بد أن يكون عابداً لغيره ؛ أي إن الإنسان يترك عبادة الله أو يستكبر عن عبادة الله فلا بد أنه يعبد شيئاً : هواه - الشيطان - عبده - الدينار - الدرهم فالإنسان لابد أن يكون له معبود وليس إنسان في هذه الدنيا إلا وله معبود يقصده وله مقصد يقصده ولا يخرج الإنسان عن هذه الثنائية - العبادة والاستعانة فإما أن يكون عابداً لله مستعيناً به وإما أن يكون عابداً لغيره مستعيناً بغيره .

فائدة: " الذين هم به مشركون " هو المعنى الصحيح والمعنى المقصود والكلام يتطابق مع الشيء كقول الله " هو الأول والآخر والظاهر والباطن " وقال " رب المشرقين ورب المغربين " " تلك آيات الكتاب وقرآن مبين " تعليم أن يعطف الشيء على نفسه وذلك كعطف الصفة منهما صفتان لموصوف واحد فلا بد تولاه فهو به مشرك ، أي أن الشيطان ليس له سلطان عليهم ولكنهم يجعل له عليهم سلطاناً بالخضوع له لتصديقه ، لذلك قال الشيطان " وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن

دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم " فالشيطان يغوي ويوسوس فمن استجاب له فقد جعل له عليه سلطانا ومن لم يستجب له فلا سلطان له عليه

(فائدة) = جملة إنه وما بعدها لعدوا (؟) من مواضع التعليل ومثال ذلك: " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين "
" أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون "
" ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين "
أي لأنه عدو لكم فلابد (؟) تتخذونه عدوا.

(فائدة) = كل من لم يعبد الله فإنه يعبد الشيطان وإن ظن أنه يعبد غيره فربما ظن أنه يعبد الملائكة أو الأنبياء والصالحين أو الأولياء ... فهو في الواقع يعبد الشيطان الذي أمره بذلك كما في الآية، كما قال إبراهيم لأبيه " يا أبت لا تعبد الشيطان " مع أن أباه كان يعبد الأصنام ولكنه يعبد الشيطان الذي سول له عبادة هذه الأصنام

من الحكم من ذلك (؟) أنه كما شرك الإنسان بالله يكون للشيطان عليه سبيل وسلطان وحجة

ما كتبه سواء كانت فعلا أو تركا هي فعل محرم (؟)

فصل السيئات:

الثواب والعقاب لا يكون إلا على أمر وجودي أمر متحقق فتقدم الحسنات والسيئات جزاؤه كلام الثواب والعقاب.

بين الإمام ابن تيمية أن الثواب والعقاب لا بد أن يسبقه علم وإلا مجرد الفعل والترك فقط لا ثواب فيه ولا عقاب فلا بد أن يكون هناك علم بأن الله أمر بهذا وأن الله نهى عن هذا.

ولكن إذا علم التحريم ما كفه أثيب على العبادة، وإذا ترك ذلك دعاء لنفسه إليه أثيب ثواب أكبر كالذي تدعوه نفسه إلى الشهوات فيكفها.

الثواب الذي يحصل للعبد إذا ترك الذنب:

١- أنه يعتقد أنها محرمة لأن الله حرمها.
٢- وأنه يبغض ما يبغض الله.
٣- ينهى نفسه كلما دعته نفسه تطلبها.
٤- أنه لا يشتغل بغيرها بما يحول عن صرفها عنه.

ولكل جهة من هذه الجهات ثواب خاص.

منشأ السيئات: "الجهل والظلم"

يقع الإنسان في المعصية لسببين: إما لجهله بالنواهي بعاقبتها وإما لكونه يعرفها ويعلم بعاقبتها. ولكن تغلب هواه عليه.

قال الله تعالى "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" لسبب أن الإنسان الذي يعلم أن هذه سيئة ويعلم سوء عاقبتها ثم يفعلها فهذا أدل على ضعف عقله وإلا فلو كان عقله كاملاً نافعاً لما فعل. ومثال الذي يعلم أن هذه معصية ويعلم سوء عاقبتها ومع ذلك يرتكبها فهذا أدل على ضعف عقله وهذا معنى "إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة" فكل إنسان يعمل السوء فلا بد أنه فعله بجهالة فالجهالة هي عدم العلم أو عدم العقل.

يريد الشيخ أن تقول لمن يعلم بعاقبة المعصية كان علماً كاملاً تاماً نافعاً لأن شبه بمثال أنك إذا دخلت في النار حرقتك وإذا رميت نفسك من جبل وأنت لا تستطيع السباحة أنك ستغرق لأن علمك هذا سيمنعك من الفعل فالذي دخل في المعصية وهو يعلم أنها معصية فهذا لضعف علمه حتى لو كان يعلم أنها معصية فالكلام هنا عن العلم التام والعلم النافع. من الأصل كل كافر فهو عالم، كل كافر ذكره الله في القرآن فهو كذلك علم بكفره الله سبحانه وتعالى قال "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" أي أن نفوسهم تيقنت بحجية الدليل وكذلك قوله "فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون" وسيدنا موسى قال لفرعون "لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر" أي أنت تعلم ذلك وأنت

مقصد بذلك. وقال الله سبحانه وتعالى: "وكانوا مستبصرين"

فليس المقصود هنا مجرد العلم وإنما المقصود العلم النافع لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من علم لا ينفع فليس كل العلم نافعاً.

فائدة = لن ينفعنا هنا العلم الذي تشارك الإبل العقل الذي كلفنا بتحقيق هذا العلم، فكل ما كلفنا هو ما ينفعنا من هذا العلم أما غير ذلك فهو صورة متعوذ بالله تعالى من علم لا ينفع.

قال سيدنا يوسف عليه السلام: "وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين" فكأنه قال يا رب أنا إذا أقدمت على هذا الفعل مع علمي أنك لا تحبه وأنك نهيت عنه وعلمي أنه فاحشة وساء سبيلاً فأكون من الجاهلين في هذا الوقت لذلك صرفه الله تبارك وتعالى عنه.

فائدة = من أقدم على ما يضر مع علمه بضرره عليه فلظنه أن منفعته راجحة، فالإنسان الذي يقدم على شيء يعلم أن به ضرراً فلا يقدم عليه إلا لمنفعة يظن أنها أرجح كالذي يركب البحر ويسافر للأسفار المتعبة للربح، فإنه لو جزم بأنه سيغرق أو يخسر لما سافر لكنه يرجح عنده السلامة والربح، وإن كان مخطئاً في هذا الظن.

والإنسان الذي يقع في قلبه التعلق بالمعصية ويقع في قلبه كون

من يعرف عاصيًا وكان بصيرًا بذلك لا يمكنه أن يقدم عليها إلا إذا تقدم عليها الغفلة أو الجهل أو الهوى غلبه، أما لو تحقق كنهه لعلم فلا يمكنه أن يقدم على شيء من ضرره.

يريد ابن تيمية أن يقول إنه يمكن للإنسان أنه يعلم بوجود ضرر ومع ذلك يصر على هذه المعصية لكونه يرى أن هذا الضرر أقل من المنفعة من المعصية.

وهذا النوع من الجهل والغفلة. كما قال إخوة يوسف: "وتكونوا من بعده قومًا صالحين"

فائدة: ليس ضد العلم فقط الجهل وإنما أيضًا الغفلة كذلك من أضداد العلم، والغفلة والشهوة أصل الشر.

"أصل الشر: الشهوة والغفلة"

يقول ابن تيمية أن الله جعل في قلب الإنسان ما يجعله يرجح فعل النافع له، لكنه ضرب أمثلة في كل أحوال الدنيا ثم تحقيق لديه هو ما يترجح عنده أن الفعل الذي فيه مصلحة له ومضرة مع غلبة الشهوة للأموال من الدنيا.

فلم يقدم على هذا الفعل مع أنه يريده لأنه علم أن الضرر الراجح سيحصل له، فماذا مع علمنا بالمعصية يمكنه أن يقع فيها؟ إما الغفلة أو الشهوة أو الغفلة

ولهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"

أن المؤمن ينبغي أن يكون فطنًا، عاقلًا متنبهًا، لأنه لو غفل سيتكرر منه

والحكم فإذا سلك الإنسان ما سبيلاً وانتهى به إلى المعصية ثم يعلل
نفس الخطوة الأولى ونفس الأسباب فإنه لن يرى أن جرمه لأن الخطوات
الأولى صلحته لهذا الحكم على القصد نفس الخطوات إنما سيحصل له نفس المعصية

يرى الإمام ابن تيمية أنه يعرف أن هوى النفس إذا اجتمع مع تزيين
الشيطان فاجتمع الشر لأن النفس تهوى وتشتهي ويكون الإنسان
متعلقه فإذا زين له الشيطان وحسن له هذا الشر فرآه من كل الصور
وهذا معنى قول الله "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون" أي كان الإنسان أعمى بسبب تزيين
الشيطان لكنه تذكر فحينما تذكر أبصر فرأى الأمور على صورتها أي
القبيح قبيحاً ورأى الحسن حسناً. والشيطان يريد أن يلبس عليه فيريد
الشيطان أن يريه الحسن قبيحاً والقبيح حسناً فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم

يرى الإمام ابن تيمية أنه يعرف أن المؤمن تزين له الحسنات والكافر
تزين له السيئات وأي سيئة زينت للعصاة من تزيين الشيطان
قال تعالى "كذلك زينا لكل أمة عملهم" وأي حسنة زينت له
فإنها من تزيين الله وتزيين الملائكة والأبرار ونحو ذلك.

قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية:
"إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب"
فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب

بالمعصية نوع من الجهل حتى لو كنت أعلم الناس، حتى لو كنت تعلم

أن هذه المعصية منهي عنها أو أن فيها حديث، فالذي يكذب هو جاهل حتى لو كان

يعلم منه أنه من أفضل الصدق وفيه أنه من أسوأ الكذب لأن العلم الذي لا يحمله

على العمل هو نوع من الجهل أو علم ناقص أو علم غير نافع.

فائدة = من كلام أهل العلم أنه يخرج من حال السيئة إلى أنه يستغفر ويتوب ويبادر بفعله

ما يمحو هذه الذنوب بالحسنات، أما أنه يبقى مذنبًا بغير توبة واستغفار أبدًا

فهذا من أعظم الظلم، لذلك ربنا سبحانه وتعالى سمى الإنسان ظلومًا إذا كان أنه يبقى

في ذنبه ومخالفته لله لا يرضى أنه يبقى مذنبًا بغير استغفار

فائدة = الجهالة أنه لا يعلم حلالًا ولا حرامًا، وإنما الجهالة هو فعل الشر

والعلم ليس المراد منه أنه يشرح الأدلة من الكتاب وإنما المراد أنه يحمله

على فعل الخير وترك الشر.

العلم هو خشية الله =

الذي ينظر إلى كل شيء من الدنيا من زينة الدنيا بميزان الله لا

لا يمكنه أبدًا أنه يحصل على شيء فيها من حب الفانية ولا يمكنه أنه ينسى ولا أن

يفرح بشيء ناله منها فرح الغرور وإنما يكون فرحًا شاكرًا ويحزن حزنًا شاكرًا

لله لا يحزن أبدًا ما يحزنه على شيء فاته من الدنيا ولا يفرح بما يحصل على

شيء من الدنيا ١٧١ س ما هو حقيقة هذه الدنيا

قال تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء "

الإنسان الذي يعلم أنه سيلقى الله تبارك وتعالى بغير كل هذه

الأمور التي كان يحرص عليها من الدنيا وهو سيلقاه إلا بعمله " إنك

كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه " ... الكدح هو العمل والسعي والكلام

فالذي يعلم أنه سيلقى ربه بالباقيات التي تبقى له من الأعمال

" فإن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء

الأوفى " الذي يعلم ذلك يقيناً هو الذي سيحرص على الباقيات

ويستعلي عن زينة الدنيا ولن يحرص عليها إلا بالقدر الذي يبلغ به

حاجاته الحياتية ولضعف إيماننا وقلته كلما نحرص على ما لا ينبغي أن

نحرص عليه ونزهد فيما ينبغي أن نحرص عليه. نسأل الله تبارك وتعالى

أن يعلقنا وقلوبنا بالباقيات وأن يصرفنا عن زينة الدنيا.

العلم الذي ينفع لابد من العمل به، أي العمل مقترن مع العلم

فكلما كان الإنسان أكثر علماً كلما كان أكثر عملاً وكلما كان أكثر عملاً فهذا

دليل على تحققه منه فإذا قل أحدهما فهذا دليل على نقص الآخر

هذه الآية " إنما يخشى الله من عباده العلماء " يريد أن يقول الصحابي

أن العلم الذي جاءت به الرسل والعلم المحمود في كتاب الله وفي حديث

النبي صلى الله عليه وسلم ليس مجرد المعرفة وإنما العلم الذي

يحمل الإنسان على العمل بما علم، فكل علم لم يتحرك به الإنسان فهو علم ناقص

أو عدمه والجهل سواء. فكل إنسان علم شيئاً من الكتب ولم يجد حقيقته عليه

فهذا الغفلة عليه وأهل الغفلة سواء والغفلة وكل إنسان علم شيئاً من شرع

ويلزم ما يجب عليه ومع ذلك أقدم على خلافه فهذا لضعف إيمانه أو لغفلة لديه

أن يوجد علم تام إلا ويعقبه عمل يحقق هذا العلم فإذا وجد العلم

ولم يوجد هذا العمل أو الفعل فهذا لجهل أو غفلة أو شهوة أو شبهة صائلة

مانع. «إنما يخشى الله من عباده العلماء» هذا فيه حصر وهذا الحصر

من الجانبين كل من خشي الله فهو عالم، ولا يخشاه إلا عالم، فحيث وجدت الخشية

وجد العلم وحيث وجد العلم وجدت الخشية، أحياناً يوجد العلم ولا توجد الخشية

ولكنه يكون علماً غير تام، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أعلمكم

لله وأشدكم له خشية» فمتى وجدت المعرفة دون [illegible] وحركة القلب فهذا اتفق

مع هذه المعرفة) وهذا وجد عند الفلاسفة وموجود عند الجهمية ومن تبعهم

من المرجئة الذين زعموا أن الإيمان مجرد المعرفة أو التصديق دون العمل

وهذا باطل فإن ثمرة العلم هي نتيجة العمل وإلا فهو علم، الإنسان مثلاً

أن النار تحرق يديه ثم وضع يديه في النار فهذا جاهل فما الفرق

بينه وبين الجاهل لأن العلم كان ينبغي أن يمنعه من فعل ما يضره وينفعه

أنه ينكر على من يفعل ما يفعله الناس، فقال الله سبحانه وتعالى: "أتأمرون

الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"

والعرض الثاني أن من ترك شيئاً وهو يضره فهو غير عاقل ولذلك

من ترك شيئاً ينفعه فهو غير عاقل. ومن ما هو نفعه من فعل ما ينفعه

وترك ما يضره فهو العاقل. حتى لو لم يكن كفعله ما هذا.

يريد الإمام ابن تيمية أن يقول أن الحسنات مقصودة لوجودها

ولذلك لا تضاف إلى الله إلا من جهة الخلق والتقدير العام بينما السيئة

أما السيئة هي عدم الحسنة إذا هنا عدم فالشيء متكلف عن حسنة

يريد ابن تيمية أن يقول أن الإنسان لا بد له من إرادة وحركة

إن الإنسان في الدنيا عنده ما يشغله ويكفيه ويكون ما يفعله.

الشيخ/ حسين عبد الرازق

كتاب الحسنة والسيئة
لابن تيمية رحمه الله

Subject

١ محرم ١٤٤٢هـ
Date ١/ ٨/ ٢٠٢٠

ص٦٢

① أصل السعادة
((الفطرة وهداية الله))

يتكلم هنا الإمام ابن تيمية عن أمرين مهمين هما الفطرة التي من الله بها على عباده لإدراك الناس الهداية العامة.

كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) " قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "

يريد الإمام ابن تيمية أن يشير لنعم الله تبارك وتعالى على خلقه التي هي مرد الحكم إلى تلك الأصول الأولى وهي الفطرة التي استعدادها للعلم والعمل وهي معرفة الحق من الباطل وكأن الاستعداد لقبول ما فطرهم عليه من محبة الحق والإرادة لكن لا يمكنها أن تكون هذه الفطرة كافية من المعرفة بل لابد من هذه الفطرة الوحي الذي أرسل به المرسلون.

والثاني: أن الله تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم
بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم، وبما أنزل إليهم من الكتب وأرسل إليهم
من الرسل، قال تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من
علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم"
وهذه الآية تعطي فهماً مشهوراً لكثير من الناس أنهم يجعلون
أمة الإسلام أمة اقرأ، بعض أن الآية التي تتحدث عن القراءة وتتكلم
عن فضل القراءة وهذا ما وافق الأمر تماماً لأن الآية هي اقرأ
باسم ربك" أي أنك تقرأ كما أراد الله لك أن تقرأ وأن تنظر إلى
الأشياء بعين الوحي، وأن تكون قراءتك للحياة وللنفس وللناس
من خلال الوحي الذي أنزله الله تبارك وتعالى، فلذلك نحن أمة اقرأ
باسم ربك الذي خلق، وهذه الآية معرفتها، ربك الذي خلق هو الأعلم
بك وبالعالم وبالدنيا وحقيقة الأشياء، فإذا قرأت باسم ربك أي
أنك ستقرأ الوحي الذي أنزله الله تبارك وتعالى حينئذ ستكون مسدداً بإذن
الله، لكن ليست مجرد القراءة المعرفة ولكن معرفة مبصرة فكل
مسألة إنما هي نتائج الإنسان حينما تقرؤها بعين الوحي وهذا هو
معنى صبغة الله: أن تكون مصبوغاً بصبغة الله، فهو أنك حين
إنما تكون حركتك في تفسيرك للأشياء وقراءتك وتفسيرك للواقع

قال تعالى: "الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان" وقال تعالى "وسبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى" وقال تعالى "وهديناه النجدين"

تكلم هنا ابن تيمية عن الهداية العامة والفطرة ولكنه علينا أن نتقوم هذه الفطرة. قد تفسد وقد يرى الإنسان الخير شراً والشر خيراً كما قال الله سبحانه وتعالى "أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً" فالإنسان قد تفسد فطرته فيحصل لهم لعدم ما قالوا "أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون"

فجعلوا الطهارة شيئاً من الإجرام وجعلوا ذلك سبباً من العداوة، فالعوا الفطرة فحولوا الفعل بالمنكر أو ما دعوة الناس إلى المنكر أو نهاهم عن المعروف وهذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الفتنة تعرض على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً" وهنا أن القلب عليه أن ينكر هذا المنكر ويرد الفتنة وعليه أن لا يقوم حتى أنه بعد ذلك لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه أي تفسد فطرته.

فالإنسان الذي يضل الطريق تراه يأنس بالباطل ولا يحب الخير ويعادي أهله كما قال الله تعالى: "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه" فابن تيمية هنا يريد أن يقول إن الإنسان مفطور على هداية عامة وعلى معرفة عامة إجمالية بالخير والشر لكن هذه الفطرة قد تتغير وقد تفسد.

Date / /

Subject

والمقصود هنا أن الإمام يبيّن لماذا أضاف الله الحسنة إلى نفسه وأضاف السيئة إلى الإنسان مع أن مرجعهما بين الحسنة والسيئة وذكر الفرق الأول والثاني والثالث إلى أن وصل إلى الفرق الخامس ، فأراد أن يبين أن السيئة التي هي عدم العلم بالحق أو عدم إرادة الحق أو عدم العمل بالحق أن هذا أمر عدمي بخلاف العمل الصالح فإنه أي العمل الصالح أو الحسنة أمر وجودي سواء كان من فعل الطاعة أو من ترك المعصية.

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين معنى الحياة وأن العبد الذي لم يحيى الحياة التامة لأجل ما أنه من الآخرة له حظ لا يعرف فيها ولا يكن لأنه من الدنيا كان كذلك ليست حياته حياة كاملة وإنما حياته حياة البهائم ، ويسمى حياة الكفار بهذا المعنى قول الله " يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام " يعيش لشهوته ولا يترك إلا لذلك ويعيش حياة بهيمية بمعنى الكلمة (لا يبحث إلا عن شهوته ورغباته) ليس كحياة المؤمنين والتي يعيشها المسلم الذين فهموا هذه الأمور وسلكوا الطريقة الشرعية ليعيشوا بهذه الطريقة حتى لو كانوا يؤدون بعض الفرائض فأدوها لكنهم فعلاً يعيشون عرضياً بهذه الحياة والله سبحانه وتعالى حذرنا من هذا الصنف من الناس وأمرنا أن نعرض عنهم " فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم " أن هذه متعلقة بالحياة أكثر

نفسه أن هكذا، ويحسب أنه يحسن صنعاً. لذلك الله سبحانه وتعالى

من أول موقف لموسى عليه السلام لما أمره بالرسالة قال الله لموسى

"إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة

آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا

يؤمن بها واتبع هواه فتردى" أي احذر أن يصدك عنها من لا يؤمن

بها لأنك لو اتبعته فتهلك، وهذا بالضبط ما يحصل لبعض المسلمين الذين

في الدول الكفار أو في الدول العلمانية ويجرهم للدنيا ويصدونهم عن الآخرة

فيصبح الإنسان يؤمن بالآخرة لكنه لا يعمل لها ولا يسعى لها ولا يستعد إلا

في العاجلة وفي الأولى.

اسم الشبه هنا يشبه الإنسان الذي عاش في الدنيا ولم يسعى بالطاعات

الصالحات فلم يتذكر الإنسان شهوته ومطامعه وملذاته وفي كل [illegible] والله

والأمور التي هو محروم منها بسبب [illegible] أي همه لهو ولعب أو كسل

في ما فاته فما ناله منه، فهذا الشخص الذي عاش في الدنيا ولم يعمل خيراً

من الباقيات الصالحات والتي كان سيبقى عليه أجرها يشبه بالضبط هذا

الإنسان الذي به أمراض خفية لا يدركه تشعر بشيء مما يشعر به الأصحاء

لشدة مرضها الغفلة والشهوة فلا يشعر بما يشعر به المؤمن الحي الذي يحاسب على

الطاعة التي عملها. فهذا الموقف حقيقة في الآخرة لا يحصل له وهو في النار

لا يموت ولا يحيى فلا هو حي ولا هو ميت كذلك في الدنيا.

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين لماذا الشر ليس إلى الله ولماذا لم تضف السيئة إلى الله إلا من باب أنه خلقها وقدرها وشاءها ولكنها ليست إليه بمعنى أنها ليست منه تبارك وتعالى. وأنه لم يأمر بها ولم يردها شرعًا ولا يحبها تبارك وتعالى وإنما الإنسان هو الذي يفعلها مع أن السيئة هي عدم الخير، بمعنى أن العبد إذا لم يرد الله تبارك وتعالى فعله ولم يعبد الله فلابد أن يكون له معبود يعبد هواه، يعبد الشيطان وغير ذلك.

بين ابن تيمية أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء ومنه أفعال العباد خيرها وشرها ولكن العبد يفعلها بإرادته وقدرته يريد أن يقول أن القدرية من المعتزلة وغيرهم حين قال بقولهم من المتأخرين الذين أنكروا مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد يفترقون لذلك كمثله؟ يفترقون بأنه الإنسان له إرادة وأن الله خلقه مريدًا لكن يطلقون مفهوم كونه مريدًا بالقوة والقبول، أي يتكلمون من الإرادة القبلية، ليست الإرادة الفعلية فيفرقون بين القدرة بالقوة والقبول والقدرة بالفعل = القدرة القبلية والقدرة الفعلية. فهم يثبتون فقط القدرة القبلية ولا يقولون القدرة الفعلية من خلق الله وإنما يقولون هو من إحداث الإنسان وهذا باطل فالله خالق كل شيء فهم يقولون أن الله ليس قادرًا على أفعال العباد وهذا باطل،

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها

، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، وهذا الدعاء من أجمل

وأجمع الأدعية ؛ لأن الإنسان مهما قد يكون ذكيًا بالعقل ونزيهًا بنفسه

لكنه محتاج لخالقه ، محتاج أن يدعو الإنسان ربه اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها

ومربيها ومعيني عليها واجعل خير عملها فيما ينفع نفسي أن زكى : طهرها ونقها

من الشهوات والأهواء والذنوب وطهرها لعبادتك ووجهها وحفزها إلى العمل الصالح

فالتزكية إما بالتطهير وإما بالتنمية ، أنت خير من زكاها لأن

الإنسان لم يجد من يزكيه إلا الله وإلا كتاب الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم

فالله سبحانه وتعالى نسب التزكية إلى نفسه تبارك وتعالى ونسب التزكية إلى

النفس ونسب التزكية كذلك إلى رسول الله وإلى القرآن ، فالقرآن يزكي

لأنه يرشد إلى طريق الزكاة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يتلو عليهم

آياته ويزكيهم وهو كذلك يزكي ويصحح لهم ويربي ، والإنسان يزكي نفسه

لأنه كل نفس على ما يفعل : قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ، لكن

مع ذلك كل هذه أسباب تعلمه الذي يزكي هو الله الذي يهدي إلى التزكية ويحبب

الإيمان ويزينه هو سبحانه وتعالى لذلك كان هذا الدعاء يحتاج

من أن يذكر أنت خير من زكاها لأن تزكية الله سبحانه وتعالى معناها أنه

يحبب الإيمان إلى قلبك ويكمل فرحك ويهنيك من ذلك ويسعدك

بالطاعة. قال أنت وليها ومولاها

الاستكبار، الاستغناء: الاستغناء عن الافتقار، الاستكبار هو تكبر لله تعالى وما يهديك إليه فلا تملك تقول يارب إذا لم يهدك لما اهتديت

آت نفسي تقواها علمني ماهي التقوى ووصفها وحببني فيها وزكي نفسي طهرها مما فيها من سوء ومن ما فيها من كبر أنت خير من زكاها

= هذا أسباب الثناء على الله بأسمائه وصفاته وهو من أعظم الدعاء الثناء على الله. مثل: وأنت خير الوارثين، أدخلنا أنت خير الراحمين، تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ذكر كان الله في الدعاء هو من فعل الأنبياء الكرام.

أنت وليها ومولاها: هي النفس التي خلقتها أنت وأنت أعلم بما فيها من خير أو شر وأنت أعلم بما تزكيه به وأعلم بما تصلح به وكأنك تفوضه أمرك إلى الله، هذا الدعاء أوله سؤال وآخره تفويض

كل شر في هذه الدنيا لا يمكن أن يأتيك شراً من كل وجه لا بد أنه متضمن خير من الخير كالذي وقع في أمر عائشة رضي الله عنها هذا شر لكنه ليس شراً من كل وجه لأنه كان خيراً للمؤمنين ولعائشة ولطهر المنافقين "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم". أما هو شر نسبي: كان شراً على من وقع في عرضها وكان خيراً لأن نزلت سورة كاملة تتلى إلى يوم الدين ورفع شأنها ونزلت سورة النور

وكذلك تعلم المؤمنون الأحكام وميزوا المنافقين وظهروا فهكذا خير لهم

كذلك كل شر في الدنيا لابد أن له حكمة تقتضي مقاماً من مقامات الخير، من الابتلاء

الذي يحصل للإنسان ترفع به درجته وتحط عنه السيئات وربما الإنسان إذا وقع

في معصية لا يحتقر نفسه وتكون خيراً له من جهة لأنه إذا لم يقع في هذه

المعصية ربما تكبر وأعجب بنفسه وربما احتقر العصاة وهكذا.

والمقصود أنه لا يوجد في ما خلق الله شر من كل وجه فلابد أن يكون خيراً من وجه

أو حكمة تقتضيه مقاماً من مقامات الخير، أو يؤول إلى الخير، أي أن الشر لا ينسب

إلى الله "والشر ليس إليك" لا يضاف إلى الله مفرداً من جهة علته

الغائية أنه وإن كان شراً لكنه له غاية هي خير، والإنسان قد يفعل ما

ظاهره الشر ولكنه يؤول إلى الخير مثل الكي لعلاج المريض أنه لا ينسب الشر

إلى الله لأنه له غاية هذه الغاية خير وهذه الغاية هي أيضاً الخير هو الذي

مضاف إلى الله.

يقول الإمام ابن تيمية أنه إذا نظرت إلى الفعل مجرداً لكن تعقل حكمته

الأعم من هذه الأمور مثل القتل تكون أفعاله مذمومة أو الشدة تكون الأخلاق

مذمومة والغلظة وهي الناس يكتسبون من تلك الأخلاق ما يعلموا أن الأخلاق الشدة

مثل الأخلاق هي اللين والرحمة (الغلظة، الشدة والحزم كل ذلك صفات)

الأخلاق إذا وضعت في موضعها واللين والرحمة والرأفة توضع في مواضع الأخلاق

Subject ________ Date / /

إذا وصفت ما تريد من وصفك كما قال تعالى: «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» «كل شيء عنده بمقدار» «أشداء على الكفار رحماء بينهم» وهكذا ١٠

تقول هذه اللام: إنه محمد وانتبه لتكون الرماد، وتقيد وما الكون

هذا دعم مهم ومجمل لكنه لا ينظر إليه كحكمة من عقلك، وإنما هو من فعلك على

فعلك من أعظم ما يميز بين الإنسان.

لا بد أن تعلم الإنسان أن خلقه الله يحقق له الكثير خيراً وكيف من

شيء إليه وتعالى في ... أن يكون ... أمره خيراً في الصحة بالحوادث،

ولكن من أسباب ابتلاء خالقه أو غيره أو ذنوبه أو ما عمله وجرّه

أو حاله وكان ذلك سبباً عظيماً فتح له باب الرجاء والتوسل والاستغاثة

من الله تعالى، ولكن من أنواع حكمته، وكان ذلك سبباً له

قال تعالى: «ولكن الله من شاكر ومن شكر الله من شاكر ولكنه من شاكر

وكذلك من شاكر» ... أن يكون إنساناً ملحداً ... وذلك

الفعل كله إن من الله ... ... أن ... بالإيمان والتقوى فإنه

لا يدري ما الصحة والحوادث، فأعظم نعمة من الله على عباده أن تعمل بما

خلقت له، وهذه أعظم كرامة، وأعظم كرامة هو أن تعطى العمل في العمل

الصالح الذي خلقت به، كأن ... كأن تجده يحمل واشتغل بكل شيء إلا العمل

... لم يصنع شيئاً فأنت خلقت لتكون عبداً لله، فإذا ... كل ما في الدنيا

من العلوم الدنيوية والصنعة والقوة والتمكين والقدرة ولم تفعل أصل ما خلقت
له فأنت لم تصنع شيئاً وأنت تعيش كالبهائم تماماً. وهذا معنى «أولئك
كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» لأن الأنعام ما كلفت وما خلقت لعبودية الله
الربانية بالاختيار والذي نحن عليه اختبار فالإنسان الذي أتى هذه الدنيا ولم يعمل
بما خلق له فالأنعام أهدى منه سبيلاً.

قال تعالى «فبأي آلاء ربكما تكذبان» أي هذه المخلوقات كانت تعرفكم
حتى يصل الإنسان إلى توحيد الله والإيمان برسله لذلك لا تكاد
تمر بنا في السور المكية إلا استشهاد بهذه الآيات على أنه الله إله واحد وعلى قدرة
الله وعلى قدرته على البعث وهكذا.

قال تعالى «قتل الإنسان ما أكفره» فالكفر له دلالات إما المعنى
اللغوي تغطية وكل هذه الآيات في تقلب الليل والنهار وما في السماء والقمر
تدل على أن للكون خالقاً ومدبراً أحكمها وأتقنها وأبدع أن له غاية وحكمة من
خلقه، والمعنى الثاني ما أكفره أي ما أشد كفره. قال تعالى «وفي الأرض
آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» فمعنى فبأي آلاء ربكما تكذبان
أي فبأي آلاء ربك تتمارى، لكن المعنى أنك تحتاج أنك تتطلع
هذه الآلاء والنعم بتوسعها وتوسعها بالعقل والمعنى الثاني أنك تشكر الله
عليها فأنت بين إيمانه وشكره فلو أدرك الإنسان كل هذا بالعلم

التهريج والفسق والفاحشة ولم تؤمن بالعالم ولم تشده على نفسه

فهو مثله كما قال الله تبارك وتعالى "كالأنعام بل هم أضل سبيلاً"

ولا يرجى منه خير، لذلك الله وصف هؤلاء بالجهل وعدم العلم

"وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون

ظاهراً من الحياة الدنيا" فهو يعلم علماً ظاهرياً يجعله أحقر مما كان

يتصور أنه يعلمه.

قال تعالى "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن

الساعة لآتية" = البداية والنهاية في آية واحدة في سورة الحجر

أي أن الرب الذي خلق هذا الكون لا يمكن أن يكون خلقه إلا

بالحق وإذا كان خلقه بالحق فلا بد أن تكون الساعة آتية فالذي

خلق هذا الخلق لا بد أن يجعل له موعد يحاسب فيه العباد لذلك ربنا قال

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله"

أي أنه تعالى الله أن يخلق كل هذا الكون ثم يعطي له الآيات البينات

ويرسل الرسل ثم بعد ذلك لا يجعل للناس يوماً يحاسبهم بأعمالهم

كل هذا. لذلك تبارك سبحانه الله لموسى عليه السلام قال

"إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك

عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى" الله سبحانه وتعالى ذكر أمرين

المبدأ في بداية السورة ثم بعد ذلك قال إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني
فعبدني هو الغاية والحكمة - العبادة - " وأقم الصلاة لذكري " إن الساعة آتية
هذا اصل الجزاء والحساب

الحكمة من الوجود: الإله الذي خلق هذا الكون فهو الإنسان
ومنحه الإيمان يكون له يوما يجزى فيه بعمله وهذا حقيقة الحكمة قال
تعالى هذا الكون كله إن يؤمن بالمعاد بمجرد أن ينظر في الكون - مجرد نظر الإنسان
في خلق الله هذا يؤديه إلى الإيمان بالآخرة المعاد لذلك ربنا قال " إن في خلق
السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار "

وعلم الله أن من شياطين الإنس والجن من يصدون عباد الله عن الإيمان
بالآخرة قال " فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى "
وهذا يؤكد أن من لم يؤمن بالآخرة سيصد الناس عن الآخرة
وهذا والله أكثر ما يعانيه المسلمون في هذه الأيام أن أهل الباطل
والكفر والفسوق والعصيان هم الذين يصدوننا عن الإيمان وعن الطاعة والعمل
الصالح ويأمروننا بالمنكر . ولم يتم حصوله إلا بالصنف أهل الإسلام والإيمان

تركنا الشخص يسعى أن نفقد إيمانه والإنسان الفاجر يملأ الدنيا فجوراً وفجوراً وعصياناً.

ثم يقول الإمام ابن تيمية: إن القول بلطفك إن تصرف نظرك إلى الكون أو إلى الآيات الكونية لتعلم كل الخير، منه جزء إرادك على الله سبحانه أخرى أن لا تذهب علمك شكر نعمة الله.

إن آيات الله في الكون وكذلك النفس وعن الكون وآيات الإنسان التي تعتبر بأنها تؤدي إلى أمرين: إلى حمد الله والإيمان به وإلى شكره تبارك وتعالى فأحمد الله على نعمه.

قال تعالى " هذا نذير من النذر الأولى " قيل هو محمد وقيل هو القرآن
قال تعالى " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً " وقال تعالى عن القرآن " كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً " وهما متلازمات

خير ما تشغل به الإنسان في هذه الدنيا هو هذه الثنائية " رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة " كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإنسان يستطيع أن يقدر أثر هذه الثنائية المباركة. وهذه الثنائية مكررة كثيراً جداً رسول الله وما معه من القرآن.

الصبر على السراء والضراء والشكر عليهما

وكلتا المحنتين تحتاج مع الشكر إلى الصبر أما نعمة الضراء فاحتياجها إلى الصبر
ظاهر وأما نعمة السراء فتحتاج إلى الصبر على الطاعة فيها بمعنى السراء أعظم
من فتنة الضراء . وكم من شخص كان مستقيمًا وهو فقير أو مريض فلما عوفي
ضل وانحرف لأن الإنسان كان لديه أسباب المعصية من مال لم يمنعه من المعاصي شيء
فالإنسان لا يدري لعله إذا أعطي شيئًا لأطغاه ، ولهذا رزق ربك
هذا ابتلاء وكلمة ابتلاء كلها أن يوقفنا لأمور حتى يعطاه على العلم
وحفظ القرآن "إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا"
فيخرج الإنسان بعد ذلك إما من أحسن الناس عملًا أو من أشر الناس أعمالًا .

فائدة :- المفاضلة بين الفقير الشاكر والغني الصابر لشيخ الإسلام وحاصله
أن الإنسان له مقام يحتاج فيه الصبر ومقام يحتاج فيه الشكر وإنما كان المركبة
أفقر الناس أو ملك ملوك الدنيا فلابد أن يمر بابتلاءات يحتاج فيها إلى الصبر
فأي مقام يحتاج إلى صبر وشكر. فلما كان لا يوجد سراء خالصة فقيل إنه لا يحتاج إلى الشكر
وإلا فإنه يحتاج كذلك الصبر .

ثم ذكر الإمام ابن القيم أن المقام الأول النعمة يحتاج شكرًا وصبرًا أيضًا
يحتاج شكرًا أكمل وصبرًا ألا يستعمل هذه النعمة في معصية الله وفي مقام
الابتلاء والضراء يحتاج شكرًا أي على النعمة على النعم الأخرى ، والله أعلم

Subject ______ Date / / (٦٦)

وتعالى لا يحتاج إلى شكر فإذا علم الإنسان لطف الله فلابد أن يشكره لأنه يعلم أن ربه يدبر له أكثر من هذا وحق له الله تبارك وتعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ولده " ولا نقول إلا ما يرضي ربنا "

أحيانًا يكون الإنسان في مقامات عظيمة من النعم وهو يظن أنه في مقام الصبر وكثير من الناس يحرم من شكر الله في وقت المصيبة لأنه لا يرى إلا المصيبة. فيظن الإنسان شاكرًا صابرًا أم متضجرًا؟

وكثير من الناس لا ينظر إلى المصيبة إلا من الشر الذي فيها مع أنه لو تأمل ما وراء المصيبة لعلم حكمة الله تبارك وتعالى وأن ما قدره كان خيرًا من أوجه أخرى على الصبر.

فائدة = قال تعالى " لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " أي لا خوف على المؤمنين فيما هم مقدمون عليه بعد الموت ولا يحزنون على شيء مما خلفوه في الدنيا أي أنه سيقدم على خير له وليس بائس ولا يحزن على أي شيء خلفه في الدنيا ولو كان ملك الدنيا ولو كان أغنى الناس لأنه سيرى له من الأجر والمعافاة هذا الذي كان يتقاتل من أجله ويسعى أنه من زينة الدنيا وأنه زخرف.

قال تعالى " وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين " وقال تعالى " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة

عند مليك مقتدر » ولهذا نجد أن النظر إلى الدنيا بعين القرآن تجعلها صغيرة

جداً، وأن الإنسان لضعف إيمانه وجهله يحرص على أشياء وهي في الحقيقة لا

تستحقه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: « موضع سوط أحدكم في الجنة

خير من الدنيا وما فيها ». وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه

بالآخرة لأن الإنسان إذا لم يتعلق في هذه الدنيا بهذه المعاني فإن الإنسان

يبقى مستشرفاً، يمد عينيه إلى كل شيء ويتعلق. وفيه ذلك معنى قوله ﷺ « انظروا

إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله ».

يريد الإمام ابن القيم أن يقول أن المصائب الدنيوية التي نراها

كبيرة؛ المصائب التي نراها مصائب هي أشياء صغيرة جداً، فالصبر يحتاج أن

تشكر في كل مقام من المقامات حتى تلك الأشياء الصغيرة عليك، فإذا أردت شكر الله

عليها ومع الصبر والشكر فقد جاءك الخير كله ويكون كل أمره له خيراً، أما

من حرم الشكر والصبر فكل ما رزقه يكون وبالاً عليه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من بات آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه

فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » أي لم يبق له من الدنيا شيء يطلبه

يريد الإمام ابن القيم أن يقول أن الذنب الذي يفعله الإنسان إذا كان يؤول

إليه إذا تاب واستغفر وانكسر ولجأ إلى الله وحصل ذلك بالحسنات فلا شك

أن يكون خيراً له. وهي كذلك خير لعبده لأنه يستغفر به. ولهذا كان من أهم

الدعاء قوله: "اللهم لا تجعلني عبرة لغيري، ولا تجعل أحداً أسعد بما
علمتني مني" ← أي لا تجعلني القدوة للناس ولكن اجعلني أنا أكثر الناس

ومن دعاء القرآن (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أي يا رب
لا تقدرنا على أيدي هؤلاء ونصبح أذلاء، أي لا تجعلنا سبباً في فتنة غيرنا
أي لا تجعلنا نضل الناس بسببنا حين يكون أخلاقنا سيئة ويكون سبباً
في أن يتقيد غاية الناس

والدعاء الآخر (واجعلنا للمتقين إماماً) اجعلنا سبباً في هداية
الناس وكلنا أن نهتدي بك الناس دون أن نسقط نحن كأن نكون كشمعة
ناجحة تحترق تراه يسبب لهم الروح ويضل عن نفسه

فلابد أن تحرص على الجليس الصالح، فالجليس الصالح هو الشخص الذي تعظم
منه وأنت تتوق لأن تقبله .. والإنسان الذكي العاقل هو
الذي يحرص على أن يصاحب أو يصادق هؤلاء أو التواصل مع من يريدون
له الخير، وكل إنسان لا يدرك الأمر كفاية الدنيا ولا يدرك الأمر إلا
نصطلح في الآخرة فهذا الذي يجلب له الخير.

أعظم ما نحتاج إليه النظر، لنسمع القلب مع القرآن وآيات الله في
الكون كلما تفكر الإنسان في خلقه وفي آيات الله في الليل والنهار
والشمس والقمر والبحار والنجوم والكواكب والقرآن هذا الإنسان لم ينبأ أنه
سيشده الله معجزاً في كل هذا "إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها"

لنبلوهم أيهم أحسن عملا، وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا" البداية

والنهاية في هذه الآية: البداية كل ما هو في هذه الأرض زينة والنهاية

كل ما عليها سيكون صعيدا جرزا. ثم قال سبحانه بعد ذلك: "المال والبنون

زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا"

أي خير ما تأمل من ربك هو العمل الصالح والباقي، وهذا هو الذي يبقى

من كل هذه الدنيا. والله سبحانه وتعالى ما يبقى من الدنيا هو ما يعمله

العبد كالصلاة أو التسبيح أو الصدقة أو قراءة القرآن وغيرها من الأمور الأخرى

التي تشرح وتفرح جيدا.

ومن الجيد أن ننتبه أن نعرف أن الإنسان عنده نعم كثيرة جدا لكنه كثير

النعم في الأكل والشرب والملذات فيكفي للعبد نعمة الإسلام فإن أعظم نعم

~~الدنيا أعظم من أن يحب الله عليك أن يسلم والذي هداه ما أيام مسلم~~

أن أعظم نعمة هي أن الله هداه للإسلام "بل الله يمن عليكم أن هداكم

للإيمان إن كنتم صادقين" لذلك يوم القيامة "ربما يود الذين كفروا

لو كانوا مسلمين"

ومن المهم أن نعرف أن الحمد من الشكر لذلك نحمد الله على كل حال

لكن الشكر أعم من جهة الوسيلة لذلك نشكر الله باللسان وبالقلب وأن

تستعمل نعمة الله في طاعة الله لا في معصية الله "اعملوا آل داود شكرا"

تقول الجهمية إن الله على كل شيء قدير ويفعل ما يشاء كالله والأشعرية

لكن يقولون أن الله له قدرة على عباده تنفع للخلق وليس له حكمة تعود إليه

يقول ابن تيمية: لو الله فقط على كل شيء قدير ويفعل ما يشاء

بدون الحكمة يكون أفضل الإنسان الذي يفعل ما يشاء بحكمة والإنسان

فما شاء بلا حكمة كالعبث جاء من الجاهل والسفيه فالإنسان القدير الحكيم هو

الذي يحب، فالله سبحانه وتعالى لا يحب فقط لأنه على كل شيء قدير وإنما

يحب لأنه على كل شيء قدير ولأنه حكيم عليم ولأنه فعال لما يريد

لذلك قال الله "وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما"

فالذي نثبت مشيئته وعلمه وحكمته معاً.

ونرى أن الجهمية ليس لهم تعظيم ومعرفة بالله سبحانه وكذلك عندهم

تقصير في الرأي لا يثبتون أن الله يحب وأيضاً يحصرونه بقدرة

الله المطلقة تعم كونه أن الله ليس على كل شيء قدير أي هناك أشياء لا يقدر

عليها، وأن الله لا يقدر على أفعال العباد ولا يشاؤها وهناك أشياء تحدث في

الكون والله لا يقدر عليها. كل هذا قول باطل فالله خالق كل شيء ورب

كل شيء ومليك كل شيء فهو رب الناس وإله الناس وملك الناس

وهو على كل شيء قدير.

Subject ________ Date / / (٢١)

يقولون أن العمل الصالح وحده لا يقود المرء للجنة بل الوجود هو ليس كلي

فالله سبحانه وتعالى أعلى أكرم من أن يبارك أو يرى العمل وحده يقود عليه بل بركة

ورحمته وفضله وكرمه وتوفيقه ولذلك نقود إليه بعملنا .

الشكر = مبدأ الشكر أن تعلم أن النعمة من الله ولا تنسى الذي أنعم إليك

حاله سمعة حبه الله هو الذي لا نعيب بنفسه أبدًا أو أول ما يرجع الإنسان

ما به من نعمة إلى ذكاءه ومهارته وطيبة قلبه فهذا أول الضلال

من صيغ الشكر أن تعلم أن ما بك من نعمة من الله وأن تدرك قدر النعمة

وأن تعلم أنها أشكاء واختبار وأن تجتهد أن لا تعصى الله بأداة من نعم الله

تبارك وتعالى بها .

كتاب الحسنة والسيئة
لابن تيمية
Subject
شرح الشيخ عبد الرزاق
الدرس السابع
Date ٢٠٢٠/٩/٦

①

الإمام ابن تيمية رحمه الله يبطل قول الجهمية في نفيهم لحكمة الله.

وزعمهم أن الله يخلق بلا حكمة، وأن الله يفعل بمجرد المشيئة، أبطل

ذلك بمجرد معنى الحمد لله، وبين أن الحمد هو ذكر المحامد التي

يستحق بها الحمد، فحمده، فيقتضي استحقه الحمد وهو لا يكون إلا بالحكمة.

فائدة = كثيرًا من عقائدهم عقائد باطلة إما أنه لا يدركون للوثنه نفيها

أن الشرع لم يفهمها، أو يكونه يظنه أن العامة لم يعلموا كما الخاصة كما

تفعل الباطنية، أو ما شابههم، أما أنه يأتي منهم كالأخذ لعيس من الناس

خشيتهم خوفًا من الناس أو خوفًا من ذهاب سلطانهم.

وهو لا يثبتون الظلم لله لأنهم يقولون أن العبد مجبر على أفعاله

ويقولون أن الله يفعل ما يشاء، أي أنه ليس حكيمًا، ويمكنه أن يدخل كل

الأنبياء النار ويدخل الكفار وإبليس الجنة، وهذا قول باطل عند

بعض الناس بردة الأديان.

قال تعالى "وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم" وقوله "وما ربك

بظلام للعبيد" وهذا النفي يتكرر كثيرًا، وإذا تكرر شيء في القرآن فلابد

أن يكون له مقتضى، نفى الله سبحانه وتعالى كثيرًا "إن الله لا يظلم مثقال

ذرة"، فلا يمكن أن ينفي هذا الأمر مع وجود عند كثير من الناس هذا

الظلم) فيكون من ظلم ما بالكثير من الناس ثم قضاء الله أنه ظلمهم
فالله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك) وكل عاقل يعلم من نفسه أن الله سبحانه
وتعالى لا يظلم مثقال ذرة)

والله سبحانه وتعالى إذا جازى العبد ~~بجهله~~ بعمله فهذا لا يكون ظلماً بل هو العدل
وهو حكمه، فالإنسان منا إذا ظلمه أحد فإنه يقتص منه ولا يسمى ذلك ظلماً
ولا يسمى اعتداءً بل يسمى عدلاً ويسمى حقاً.

ولا يحق لأحد أن يقول يا رب أنت كتبت علي هذا العمل وأنا مجبر عليه
فهذا باطل لأنك مطلق بقدرتك وكل ما هو خارج عن قدرتك وإرادتك لست
مكلفاً به أو معفو عنك فيه

يريد الإمام السفاريني أن يقول أن الله سبحانه وتعالى يستحق الحمد سواء
علم العبد بذلك أو لم يعلم وأن علمه بالشيء أو جهله به لا يثبته ولا
ينفيه، فكون الشيء معلوماً أو مجهولاً هذه أمور نسبية

ويبين الإمام أن الحكمة لا بد منها من شر حتى أن الملائكة قالوا: "أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فالملائكة علموا أنه سيحصل من
هذا الإنسان شر لكن هذا الشر لا يكون من كل وجه بمعنى أنه لا بد أن
يقتضي مصالحاً من مصالح الخير.

وفيه أن الملائكة لم تسأل الله هذا السؤال: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟!! فهل الله سبحانه وتعالى قال للملائكة إنهم لا يسفكون الدماء ولا يفسدون في الأرض؟ قال: لا، بل فعلاً يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء

فالملائكة سألوا نفس السؤال الذي قد يخطر ببال الإنسان من وجود الشر في الكون فهم سألوا هذا السؤال والله سبحانه وتعالى بين أنه هذا لا يطلعهم عليه

أي تعليم تفاصيله للعباد وإنما العباد بشكل عام يعلمون أن ربهم حكيم سواء علمت الحكمة المفصلة من الأمر أو لم تعلم فيكفيك الحكمة العامة

فائدة :- من ظن أنه سيعلم الحكمة من كل شرع ومن كل قدر يقدره الله فهو كاذب ومغرور يريد أن يكون علمه كعلم الله وهذا باطل فالله سبحانه وتعالى لا يحيط الناس به علماً ولكن يعرفون شيئاً من علم الله تبارك وتعالى الذي أطلعهم سبحانه وتعالى وما يخفى عليهم أعظم وأعظم. وما لم تعلمه الملائكة كيف تعلمه آحاد الناس.

والإنسان مريض فإذا نظرت إلى هذا المرض نظرة سطحية ستقول أن هذا المرض شر، فإن هذا المرض هو خير من وجوه كثيرة وربما يكون خيره أكثر بكثير من شره، فأول من يناله الخير هو المريض فإنه يكفر به من خطاياه ويرفع به درجته بالصبر ويتضرع لله كثيراً فلو صبر [illegible] عليه فإنه تكون خيراً وأجراً له لو كانوا فإنهم يؤجرون وكذلك الطبيب يشتغل

ولو نظرنا إلى أي شيء في الكون سنجد أن هذا الشيء فيه مقامات كثيرة من

مقامات الحكمة، كما قال الله سبحانه وتعالى في الإفك: "إن الذين جاءوا بالإفك

عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم"، فالكثير من السيئات كثير من

الناس ربما المعصية ذنب يكون نقطة انطلاق له في التوبة، الشعور بالضعف

والفقر إلى الله ويرحم المذنبين ونفتح طريقًا إلى الله في عمل الصالح ليعالج

ولكن ربما يرى الإنسان شخصًا يملكون عنده أموال كثيرة جدًا ولا يستطيع

أن ينفقها في الخير وتكون سببًا في قدرته على الشر والباطل

والشاهد من ذلك في علم حكمة الله العامة ينبغي أن نعلم من

معرفة التفاصيل حسبي الله كما قالت هاجر رضي الله عنها: "آلله أمرك بهذا

قال نعم قالت إذًا لن يضيعنا"

إذًا الإنسان من نفسه شر، والله أكمله ربنا، أما النفس "ونفس وما سواها

فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" آيات

كثيرة جدًا يذكر فيها النفس من شرور فإنها أمارة بالسوء وإنه يا الهوى

وغير ذلك.

يجب أن نعلم هنا أن المعصية ليس سببها المعصية، فالمعصية هذه لحكمة

فلو الحكمة تحققت أنه خير، وهذا الذي جاء إلى الله، ليس سبب المعصية

Subject ________ Date / /

إما تقصير منه أو أنه وزين له الباطل أو دعوة الله من المعاني.

ما أصابه من مصيبة بسبب معصيته من الله وأنه فاعل فاعل وأنه مخلوقه

بقدرته واختياره.

يريد أن يبين هنا لماذا قال "ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك

من سيئة فمن نفسك" لماذا كانت السيئة من نفسك فإذا قصد بالسيئة

أنها المعصية فلا تنسب إلى الله لأن الله لا ينسب إليه إلا الخير وهذه

المعصية تعتبر شراً وهذا الذي ينسب إلى الله، وسبب هذه المعصية هو

الذنوب والذنب من نفسك أي باختيارك وقدرتك وهذا معنى أن الشر

ليس إليه، ويطلق الحسنة والسيئة وما يترتب عليها هي من الله كيانا وقدراً

فهو الذي هداك أو أرشدك كذلك وهكذا.

يريد أن يقول حينما يرى الإنسان معصية ما اللقاء وهو لا يعرف وجه

هذه المعصية، فيقول لماذا خلق الله هذا الشر فلو نظر إلى هذا

الكون بهذا الإحكام سيعرف أن الحكمة غالبة على الشر وأنه ينظر

إلى هذا الكون وإتقانه وانتظام آيات الله في النفس وفي الكون سيعرف

أن هذا الرب عليم قدير حكيم قوي وهذا يستطيع أن يقضي على الشر

إلى هذا الحدث بحيث لا تفصل تفصيلها ما مرأة تغتصب أو المسلمون يحرقون

فيقول هذا شر لماذا خلقه الله هذا شر إضافي ولكنه لا يمكن أن

أن يكون تأثير شراً من كل وجه، فكل معصية من هذه المعاصي لابد أن فيها مصلحة

من المصالح أكثر سواء أنك علمت ذلك أو لم تعلم.

فائدة = نرجع عمله بحكمة الله لا ينفي حكمة الله ذات الأمر الشرعية

وتعالى عليم حكيم سواء علمت أنت وجه حكمته أو لم تعلم "والله يعلم وأنتم لا تعلمون"

يريد هنا أن يقول إن هذه الأمور التي نظنها الإنسان أنها شر من كل وجه:

لا يمكن أن تكون شراً من كل وجه لابد أن الأمر خير سواء علمتها أو لم تعلمه

تماماً كقصة موسى والخضر فلم يدرك موسى عليه السلام وجه الخير الغالب

على الفعل الذي فعله الخضر وهذا لم يعنِ أن يكون هذا الفعل شراً.

وإنما هذا كان اجتهاداً من موسى عليه السلام فيه أنه لم يكن اجتهاداً صحيحاً.

والصواب إذا كانت هي شر وهي الأفعال الحاسبية وهي مقتضى الحكمة

فاعلم أن كل ما تظهر أنه شر لابد أن يكون إما خيراً أو فيه مصالح من مصالحه

أكثر سواء علمتها أو لم تعلم.

يبين الإمام ابن تيمية أن المخلوقات لها حالات:

الحال الأولى: الذي يشهده الإنسان أو يراه فاعلم فعله وهذا الحال حسية

تدل على علم الإنسان بقدرة الله ونفوذ مشيئته وإقراره بكمالات الله وكمالات

وفقره إلى الله وأنه لا يهدي إلا الله ولا يضل إلا الله كل هذا من الحال الحسية

الحال الآخر: هو حال حاسد وهو أن يحتج بالقدر ويقول يارب أنت
خلقته فلم تلزمني بالتحاسب عليه وهذا فعل الكفار وفعل ابليس كما حكى لنا
" لو أن الله هداني لكنت من المتقين " ولقولهم " لو شاء الله ما أشركنا "
" لو هدانا الله لهديناكم " فمن رحمته أن يشهد لله بأنه عالم كل شيء وعالم
بحاله لخضع لله وتوسل بالله وافتقر إليه ومن رحمته أن يحتج بذلك على
فعله فيقول " لو أن الله هداني لكنت من المتقين " فإذا احتج العبد
على ذنبه بالقدر فهذا ذنب أعظم من ذنبه الأول.

فائدة = الرضا بالقدر نوعان ، من رحمته أن ترضى من فعل الله ومن
المفعول فلابد أن ترضى بكل أفعال الله ولا تقول إلا ما يرضي ربنا ،
لكن هذا المفعول تحاسبه بقدره فإنك إذا رأيت رجلاً مثلاً من الصالحين فإنك
تحب ولا ترضى بهذا وإن كنت تسلم وتؤمن ، فمن رحمته الرضا والصبر ! الرضا
هذا أمر مستحب فإذا الرضا على الأشياء جميعها فإذا رأى الإنسان من قدرة
الله فلا يرضى به وإن كان يصبر عليه.

\# قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له "
ومسألة ما قضى الله به على المؤمن أنه يسرقك أو يسرقه أو يزني أو يكذب
فهل هذا أيضاً يدخل في كونه خيراً ؟
هذا الحديث لا يشمل من أفعاله أنت فإنما يشمل ما يحصل له أما أفعاله

فهذه قد تكون خيراً وقد تكون شراً ← فهذا الحديث لا يشمل جميع أعمال العبد وإنما يتكلم عن المصائب التي تصيبه أو قضاء الله عليه .

ولكن هل يصح لو قلنا أن هذا الحديث يشمل أعمال العبد من المعاصي لو كانت معصية فكيف أن تكون خيراً له بشرط أن عنده استغفار منها؟

فالإنسان يمكن أن يعمل ذنب ثم يستعظم هذا الذنب فيفر بنفسه إلى الله ويحتاج أن يعوضه بالحسنات ويكثر ويعظم المذنب ؛ إذ أن هناك معاني عظيمة جداً يمكن أن تترتب على الذنب بشرط أن يكون الإنسان لم يتأثر به وأن يتوب منه وأن يستغفر .

فائدة = نزول المصيبة بالمؤمن كفارة له لكنه لا يؤجر عليه وإنما يؤجر بالصبر على المصيبة ؛ ففرق بين نزول المصيبة والصبر على المصيبة .

وقد جاء في بعض الآثار عن قول الله تعالى : " أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم " إذ يحبهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب " ← هذا الحديث وإن كان إسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح جداً .

والمقصد أن الإنسان المؤمن في هذا الحديث سواء أن ذكره كله له خير بشرط أن يمتثل ما جاء في الحديث .

سُئل ابن تيمية رحمه الله: كيف نوفق بين هذه الآية:

لماذا قال الله سبحانه وتعالى "وما أصابك من سيئة فمن نفسك"

أي ما الحكمة من أن يعلّم الله الإنسان الشر من نفسه.

القرآن الكريم أحيانًا يتكلم عن الفعل أحيانًا ينسب الفعل إلى الله وأحيانًا ينسبه إلى نفسه، قال تعالى "ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا" فهذا تأكيد أننا لن نزكي أنفسنا إلا بالله وما نصنع أي تقصير "قد أفلح من زكاها" "ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات" فلكل مقام مقال: فالله أحيانًا يذكر نعمته على العبد حتى يعظم الذي يشعره بالمسؤولية: أنه مسئول لأنه لديه قدرة وأنه محاسب عليها.

فالله خالق كل شيء، وإذا عرف الإنسان أن الحسنة من نفسه وأن السيئة والذنب من نفسه، هنا سيحصل معاني طريقة لتحصيل العلم أنه إن علم الله فقيرًا، لأنه سيشعر بفقره إلى الله وسيجاهد نفسه بالأخذ بالأسباب التي لا توقعه وسيعذر المذنب لأن النفس ضعيفة أحيانًا

قال علي بن أبي طالب: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه.

فلا تتوكل على أي سبب تأخذ به إلا على ربك تبارك وتعالى، ولا تخف من أي شيء في الدنيا إلا من ذنبك.

اهدنا الصراط المستقيم : إنما يدل من الله [illegible]

معرفة استقامته، إذاً سيبقى العبد محتاجاً إلى اهدنا الصراط المستقيم

ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة لفرط فاقتهم إليه.

فالإنسان ليس محتاجاً فقط إلى العلم وإنما أيضاً يحتاج إلى الإيمان، إيمانه

لتبصره بالمستقيم ,, فالإنسان يحتاج إلى "العلم والإرادة والعمل" وكم

من إنسان يعرف الحق ويفعل ضده وكم من إنسان باع دينه لعرض من الدنيا فعل

على نسيئة مال أو شهرة أو رشوة ونحو ذلك. فالإنسان يدعو ربه بالعلم

والإرادة الخير والعمل الخير، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "نعوذ

بك من علم لا ينفع" فليس كل العلم نافعاً قد يكون حجة عليك

فائدة : العبد محتاج إلى الله في العلم والإرادة والقدرة، يحتاج أن

نعلم الهدى ونحتاج أن نريد الهدى، ونحتاج أن نعمل بالهدى.

والتي يحتاجها الإنسان أن يعان على جهاد نفسه وعلى التغلب على هوى نفسه

وعلى العمل لما خلق له

فائدة : لو علم أن نفوس بني آدم مجبولة أن تصل إلى هذا الحق أو هذا

الإيمان، لم يكن في مقصد الله تعالى حكمة. أي معنى أن الله تبارك وتعالى فرض

علينا هذه المقاصد، فهذا يؤكد أن العبد يحتاج إلى هذه المقاصد لأنه قد يقع

في نفسه هذا الأمر فيحتاج أن يتأسى بالصالحين وأن يسلك سبيلهم وأن

تجنب سبل المفسدين .

لذلك الله سبحانه وتعالى لما قص هذه القصص نرى أن الله سبحانه

وتعالى ذكر نماذج من البشر ذكر مثلاً العبد الجاهل مثل برصيصا الذي

الشيطان إيقاعه للإنسان الكفر ،، مثلاً كان عابداً زاهداً ولكنه كان جاهلاً من

الفتنة فأول ما عرضت عليه الفتنة وقع فيها منتهاها ، تحول من عابد زاهد

بضربة جهل إلى رجل فاحش فعل الفاحشة وكذب وقتل وسجد للشيطان .

قصة أخرى: قصة بلعام الذي آتاه علمه ،، واتل عليهم نبأ الذي

آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، رجل عالم انسلخ من الآيات فشبهه الله

بالكلب فمثله كمثل الكلب ،،

نمط آخر من القصص : وهو قصة السامري : الرجل الذي أتبع

نفسه هواه "بصرت بما لم يبصروا به" أي أنا عندي علم لم يعلمه الناس

وأراد أن يغوي الناس .

قصة أخرى : قصة أصحاب السبت الذين احتالوا وتحايلوا على الله

وتحولوا إلى قردة

ما يقابلها قصة مؤمن سورة يس الذي قتل في سبيل الله لما نصح

قومه فالله سبحانه وتعالى يذكر قصصاً كثيرة ، كل مؤمن إذا نظر إلى

كل قصة سيستشعر أنه في لحظة ما من حياته مطابقة لحال هذا الصنف .

فأي إنسان يقرأ قصص القرآن لا بد أن يستخرج منها المعاني، لذلك
قصص القرآن لم ترد للتسلية وإنما للعبرة، وقصص القرآن لم تذكر
كتسلسل تاريخي بل تذكر في مواضع بما يناسب السورة، مثل سورة "الكهف"
مبنية على فكرة وهي "التفرقة بين الباقيات الصالحات وبين زينة الحياة الدنيا"
لذلك ذكر أربع قصص في هذه السورة: قصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب
الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة موسى والخضر. وكل قصة من هذه
القصص فيها نوع من الزينة وفيها نوع من الباقيات الصالحات.

فذكر الله سبحانه وتعالى مثلاً واحداً من قصة موسى عليه السلام وهو أن موسى
كان عالماً ونبياً فسُئل من أعلم الناس فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد
العلم إليه، فهنا زينة وهي زخرفة العلم، فالله سبحانه وتعالى قص علينا هذه
القصة حتى ننسب العلم إلى الله، وحتى نعلم أنه فوق كل ذي علم عليم، ونعلم
أننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً، فهذا العلم قد يكون من الباقيات الصالحات
إذا نسبه العبد إلى الله، وقد يكون زينة وزخرفة تقضي على العبد يوم القيامة،
ويكون هباءً منثوراً.

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين أن قصص القرآن تشتغل بال المؤمن
حتى ما يستفيد من شيء من قصص القرآن أن يقرأ نفسه وأن يعرف

وأن نعرف أن النفس علينا أن نبلغ بها أعلى المنازل وعلينا أن نزكيها أبداً فلح من زكاها وقد خاب من دساها " فهذه القصص إنما تسوق لنا أمثلة واقعية لما لمن زكوا أنفسهم أو لمن دسوا أنفسهم. ولقطع لك الكبار. من فعل مقدمات الصالحين نال عاقبة الصالحين لذلك ربنا سبحانه وتعالى قال " وكذلك نجزي المحسنين " " وكذلك نجزي الظالمين " " وما هي من الظالمين ببعيد " فكل من فعل هذه المقدمات فلابد أن يكون له نفس النتيجة

فائدة = فلولا أن النفوس تنتابها مقدمات التي علينا أن نصل بها إلى النتائج هذه القصص في القرآن لم يكن هناك معنى للاعتبار

فائدة = إن الله في كل موضع يكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعظه يكثر من القصص فانظر في النبي الكريم في ذلك الموقف حينما كان النبي صلى الله عليه وسلم مستضعفاً في مكة وكان في حالة شدة من الكفار على المسلمين حينما أراد أن يذكر الله تبارك وتعالى بقصة نوح عليه السلام وقصة أيوب عليه السلام وقصة المسلمين من الأمم السابقة الذين أنعم الله عليهم أو هلكوا ونحو ذلك.

كتاب الحسنة والسيئة لابن تيمية رحمه الله

(١٠)

Subject (ص ٨٩) Date ٢٠٢٠/١٩/٨

(الدرس الثامن)

معنى أنك لله وأنك بالله؟

أي أن عملك لله وأن عملك بالله سبحانه وتعالى وهو معنى إياك نعبد وإياك نستعين.

يريد الإمام ابن تيمية أن يبين لماذا لا نثني على أحد من عبيده البشر ولماذا نمنّ عليهم؛ لأن الله أحسن بك إلى الناس فلا ينبغي أن تشكر الله على أنه جعلك مستعملاً في الإحسان وربما يكون هذا معنى قول يوسف عليه السلام "وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن" أي أن الله أحسن إليّ عندما أخرجني، فكيف تمنّ على الناس والله سبحانه وتعالى هو الذي يمنّ عليك بأن هداك إلى هذا العمل ووفقك إليه. وهذا معنى جميل

فلماذا لا ينبغي للإنسان أن يمن بإحسانه على الناس؟ لأنه ليس منه ابتداءً وإنما الله هو الذي يسره ووفقه للإنسان الذي أحسن أن يشكر الله، والإنسان الذي أحسن إليه يشكر من أحسن إليه ولكن قبل ذلك أن يشكر الله أنه يسر له شخصاً يحسن إليه.

ومن الناس من يحسن إلى غيره حتى يكافئه أو يحسن إليه حتى يمن عليه أو يذله أو يأخذ منه نفعاً لقدرته عليه. أي يريد منه نفعاً وليس لوجه الله

Subject

Date / /

(٢)

وقد أبطل الله صدقة المنان وصدقة المرائي فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير"

تثبيتا حينما تتصدق لابن آدم ينبغي أن تتذكر هذه المعاني "وتثبيتا من أنفسهم" أي احتسابا لله أي ثقة بجزاء الله وثوابه وثقة بوعد الله، والله سبحانه وتعالى يقول: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه" يريد الإمام ابن تيمية أن يقول لا تقدر تصدقك وإحسانك إلى الناس بوعد الله لا تنتظر على الناس شيئا لكنه إحسانك من فضله وعليك شكر المكافأة. لذلك كثير من الناس إذا أحسن إلى أحد ولم يشكروه ولم يعترفوا بإحسانه يتضجرون لإحسانهم وكثير من الناس يريد أن تكون الدنيا هي دار الجزاء الأوحد.

فإذا كان يعطي محتسبا للأجر عند الله مصدقا بوعد الله: طلب من الله لا من الذي أعطاه فلا يمن عليه.

أي أنت إذا أحسنت إلى الناس بمالك أو علمك أو مساعدة فالله هو الذي

أحسن إلى الناس بك وأنت ليس لك شيء أصلاً ، وما بكم من نعمة فمن الله

الفرق بين الحسنة والسيئة بالذات أضيفت الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد

الفرق الثاني درس ١

يقول الإمام ابن تيمية أن هذه السيئات ليست أمراً وجودياً حتى

تنسب إلى الله وإنما هي أمر عدمي أي عدم الحسنات هو عدم الإيمان

الذي يوجب لفعل السوء هذا سببه هو وهذا معنى وما أصابك من

سيئة فمن نفسك . فإذا قصدنا بالسيئة المعصية فهي من نفسه وإذا قصدنا

بها المصيبة فهي ناتجة عن السيئة التي من نفسه .

فائدة = المصائب يمكن أن تكون عقوبة ويمكن أن تكون ابتلاءً

وعلى هذا فالشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه ؛ لا يمكن أن يكون في

فعل الله ما هو شر وإنما يكون الشر شراً إضافياً وهذا معنى قول

النبي صلى الله عليه وسلم "والشر ليس إليك" ، والشر يكون من العبد

والله سبحانه وتعالى إما أن يكون منه فضل وإما أن يكون عدل منه فالله

سبحانه وتعالى إذا جازى المسيء بإساءته فهذا ليس شراً بل هذا هو العدل

وإن عفا عنه فإنه رحمة وفضل فالله نقول إن المصائب التي تصيب

Subject ______ Date / /

المعاصي هي سبب ايلامهم وهي سبب لعدله وليست سبب الشر "
لم ير الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون " فلا يمكن أن يقدر الله مصابا الا أن يكون متضمنا لمعنى
من معاني الخير وقد تعلمه أنت وقد لا تعلمه وقد يكون لك الخير فيما اختاره الله
لعبده ما تحب ان يكون الانسان نظيرا في هذا الامر ، ويكون الله
عز وجل منعك شيئا لأنه من أكبر مصائبك الخطر وأنت لا تدري .
لذلك قال الله " والله يعلم وأنتم لا تعلمون " .
فظلم الانسان نوعان : عدم عطائه الحسنات عند المسيء مضافا اليه
حملهم للسيئات : خلقه عقوبة لهم على تركه فضل الحسنات التي خلقهم لأ
دائما وهم بذلك ، فكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، فلا يمكن
أن تظلمه الله في الفضل الذي جاء له مع من عند الله والحسنة
التي أصابتك هي عدل ، ولا يمكن أن تظلمه الله لأن الله غني عنك
ولا شأن لك ولا وزن لك عند الله الا بعملك الصالح " إن أكرمكم عند الله أتقاكم "
فليس لك وزن عند الله الا التقوى .
ومن تدبر القرآن تبين له أن غالب ما يذكره الله من خلق الكفر والمعاصي
يجعله جزاء لذلك العمل " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم "
وقال تعالى " وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى "

Subject Date / / (٥)

أي أنهم لما تركوا الاشتغال بالحكم اشتغلوا بالباطل، فهؤلاء خلقوا للإيمان والعمل الصالح، فلم يفعلوا ذلك، فشغلوا الباطل وهذا كان بمدركهم.

أي إن الإنسان لابد له من شغل، والإنسان الذي شغل بالحكم من أعظم الأمور التي يحصل للإنسان بإشغاله بالحكم هو عدم الاشتغال بالباطل.

ولعل هذا من أعظم ثمرات الاشتغال بالحكم.

ويبين الإمام ابن تيمية أن هذا الكلام يرد على طائفتين القدرية المكذبة والمجبرة الذين يقولون أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ولا يعلمها خلقًا. والقدرية نفاة العلم) والذين يقولون أن الله خلق كفر الكافرين ومعاصيهم وعاقبهم على ذلك لا لسبب ولا لحكمة.

ملخص الكلام = وهي أن الله علم ما سيفعله ولكنه شاكره وخلقه ومع ذلك نحن مسؤولون عنه ونحاسب عليه لأن عندنا إرادة وقدرة واختيار. = فهل الإنسان مجبر أم مختار؟ الصواب أن الإنسان مختار بمعنى أن الأمور التي يكلف بها الإنسان هو مختار فيها، وإذا لم يكن مختارًا فإنه لا يحاسب أصلاً ولا يكلف وهذا معنى "فاتقوا الله ما استطعتم" وهذا معنى "لا إكراه" فالإنسان ليس مكرهًا

على ما أنفسهم، الطائفة التي قالت إن الله لم يخلق أفعال العباد،
والطائفة التي قالت إن الله خلق أفعال العباد ولكن ليس له حكمة
والعبد مجبر على أفعاله، والصواب أن الله خلق أفعالنا ولكننا نفعل
هذه الأفعال بإرادتنا ولذلك يحاسبنا الله عليها.

يريد ابن تيمية أن يقول هم يوافقون على أن الله يخلق
أفعال العباد ولكن يقولون أن الله لم يخلق الذنوب ابتداءً وإنما يخلق
جزاءً للأعمال.

وهم عندهم أن أول ذنب فعله الإنسان أي أن البداية هو
الذي ابتدأها وهو الذي خلقها، فالله خالق كل شيء وما يحدث شيء إلا
بمشيئته وقدرته ولما هذا العبد لم يقم بما أوجب الله عليه فبدأ العبد
معصيته بسبب أنه لم يقم بما وجب عليه.

هم يقولون لو أن الله خلق الذنب الأول الذي عوقب به العبد فيكون
هذا ظلمًا للعبد لأن العبد لم يكن له اختيار وقضاء الله فهم لا يقولون
من أن الله يعاقب ذلك الإنسان بذنبه بذنب آخر، فأول الذنوب
الوجودية مخلوق لما لم يقم بما أوجب الله عليه، ويريد أصحاب هذا القول
أن هذا العدم ليس مخلوقًا، ليس شيئًا أصلاً حتى ينسب إلى الله

ولكنها تمت بإذن ربه.

خلاصة العقيدة أن نعلم الأمور الجملية.

والأمور الجملية هنا أن نعلم أن الله بكل شيء عليم وأن الله كتب كل شيء في الذكر قبل أن يخلق بني آدم، وأن الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء ومع ذلك نعلم أن الله عليم حكيم رحيم.

وأن العبد له قدرة واختيار وعلم بها صار مكلفاً وهذا العبد صاحب الأسباب أعماله فكل ما يجري عليه إما فضل من الله أو عدل من الله.

والأمر الكلي هنا: أن الله لا يظلم الناس شيئاً، فكل ما يصيب العبد لا يمكن أن يكون ظلماً من الله، لكن إذا جئتنا أنا سيأتي لك بها تفاصيل وجزئيات هذا الأمر فهذا لا يمكن أبداً، والذي يظن أنه سيأتي له كل حكمة من قضاء الله هذا يريد أن يكون علمه كعلم الله وهذا لا يكون أبداً محال، وهذا سبب ضلال كثير من الناس.

ينبغي أن يكون إيمانك الكلي بحكمة الله مستمراً معك في الجزئيات التي لا تعرف الحكمة منها فلو سألك شخص أن ربك حكيم عليم قدير هذا يكفيك فهنا تؤمن بالجزئيات التي لا تعرف وجه الحكمة فيها.

أما الإنسان الذي يريد أن يقف على كل مسألة ما هي حكمة الله

من كل تفاصيل الأمور القدرية والأمور الشرعية. فهذا إنسان قد دخل

في هذا الحكم إلى التكلف، فهذا أمر صعب أن تعرف حكمة الله العامة لأن

تطلب الحكمة الخاصة في كل فعل وكل أمر شرعي.

فائدة: الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد وليس فاعل أفعال

العباد = أي لا يمكن أن يحدث شيء في الكون إلا بمشيئة الله وخلقه

لأن هذا الشيء لا يمكن أن يوجد بدون الله فالإنسان لا يمكن أن يوجد

شيئاً أو يحدثه ولكن الإنسان هو الذي يفعل، فأفعال العباد هي

من خلق الله وتقديره ومن فعل الإنسان. فالله هو الخالق وليس الفاعل

لأفعال العباد.

قال تعالى "وهو أعلم بالمهتدين" "إنك لا تهدي من أحببت"

وهذا يدل على الحكمة وليس على مجرد المشيئة. وهذا معنى "إن ربي على

صراط مستقيم" فالله سبحانه وتعالى وإن كان قاهراً فهو حكيم سبحانه

وتعالى، فينبغي أن يبنى أحكام هذه المعاني = أن الله لطيف وعليم

وخبير وحكيم فإذا ما ذلك جزئية لم نفهم وجهها رد هذه الشبهة

إلى الحكم. وبتحقيق هذا يدفع إشكالات هذا الباب والله أعلم بالصواب.

حاشية - والإنسان لا يشتغل بهذه المسائل الدقيقة إلا على جهة [illegible]

عن أمرين: إما أن يشتغل بأن يردوها إلى المحكمات، وإما أن يشتغل
دون المحكمات، وإذا اشتغل الإنسان بهذه الدوائر والشبهات والأسئلة
فلابد أنه سيضل ولابد أن يكون عليه معطشا. قال تعالى: "فأما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"
وربنا منهم هؤلاء دون الراسخين في العلم لأن الراسخون في العلم يقولون
"آمنا به كل من عند ربنا" ولذلك تجدهم لا يتطرقون إلى الشرع بعكس الذين أصيبت
قلوبهم "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا"، لعلمي أن الطلب عدم زيغ
عنكم باتباع الإشارات والشبهات دون أن يردوها إلى المحكمات أو دون
أساسًا أن يعلم المحكمات.

العقوبة على عدم الإيمان:

ومما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى: "ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون"
فذكر أن هذا التقليب إنما حصل لقلوبهم لما لم يؤمنوا به أول مرة
وهذا عدم الإيمان عقوبة لأنه جاءهم الإيمان فرفضوه، أنهم لما جاءهم
بعد ذلك الإيمان لم يؤمنوا به.
فهل عدم الإيمان هو فعل أم ترك؟ فالذي عليه الإجماع ووضعه
هنا فعل وبعد هذا خلافا للبعض.

من أهم الأفكار الرئيسة في هذا الكتاب: لماذا إذا كانت الحسنات والسيئات بتقدير الله ومشيئته وعلمه، لماذا أضاف الله سبحانه الحسنة التي هي النعمة أو الطاعة، وجعل السيئة التي هي مصيبة أو معصية، فأضاف الحسنة إليه، وأضاف السيئة إلى العبد.

الفرق السابع في هذا التفريق:

وهو أن السيئات التي تصيب الإنسان وهي مصائب الدنيا والآخرة ليس لها سبب إلا ذنبه الذي هو من نفسه، فانحصرت في نفسه، وأما ما يصيبه من الخير والنعم فإنه لا تنحصر أسبابه، لأن ذلك من فضل الله وإحسانه ويحصل بعمله وبغير عمله، والحسنة ليس لها وجه فيمكن أن تأتيك هذه الحسنة من فضل الله ابتداءً، ويمكن أن تأتي لأسباب وفقك إليها، وهذا ليس من عملك ولسبب حسناتك وهكذا.

والمقصود هنا: أنه إذا عرف أن النعم كلها من الله، وأنه لا يقدر يأتي بها إلا الله، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب السيئات إلا هو، وأنه "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده" صار توكله ورجاؤه ودعاؤه للخالق وحده.

فأنت مسؤول عن عملك وما بك من نعمة فمن الله فلا تعجب بعملك وما بك من سيئة فمن نفسك فلا تغتر بنفسك وتعمل على تزكية نفسك.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الذين يقولون بعدم الحكمة في الأفعال
الأزلية. هذه الكلمة ترد على المعتزلة حجة لأن المعتزلة يقولون أنه
يجب أن يكون الله حق لو كنت نهيًا عن أنه يكون أن الله عليه أن
يفعل الصالح من المأمور ... وهذا من الكذب ؟
ومن عجيب أن كان الإنسان بمعصيته وذنبه وأنه بالعباد لله فالمعتزلة
يقولون أنه يكون من الله لأنه لا أن فعل ... جعل للعاصي طاعة
مع ذلك ... فعل النار لفعل ما شاء وهذا من أبطل القول.
الله سبحانه وتعالى أبطل ذلك كثيرًا "أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم
كيف تحكمون" "أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض
أم نجعل المتقين كالفجار" فالمعتزلة يكذبون فيقولون هذا ويقولون أن
الله يجب أن يجعل المتقين كالفجار وهذا كذب.
فالمعتزلة يشبهون صفات الله بصفات المخلوقين وهذا التشبيه
باطل ... حكيم ... لكن الإنسان يكون ... عليم
حكيم كريم لطيف لا يظلم شيئًا.
ولهذا تعلمت أن الله ليس يفعله لأمر الدنيا ولأمر الآخرة الإنسية
ذلك فهذا يبطل قولهم. لأنهم يقولون أن الله يجب تعذيب

الفرق الخامس : لماذا أضيفت الحسنة إلى الله والسيئة إلى النفس :

يقول الإمام ابن تيمية أن الذنوب وجزاءها سيئة فالأعدام إنما تنسب
إلى النفس ولا تنسب إلى الله فهنا نسب كل شيء إلى مقتضيه فالمعنى
الحسنة لا يصلح أن تكون هي المحبة الطيبة التي ليس فيها شر كسبًا لشيء فإنه
ذلك محض جود للعباد. أذكرتكم،
يريد أن يقول أن العبد إذا علم أن ما أصابه من نعمة فمن الله
وعلم أن المعصية وما يترتب عليها من المصائب من نفسه هذا أنفع الأشياء
له لأنه لم يغتر بفعله ولأنه سيزكي نفسه فيتحاشى من أعماله ويراقب نفسه
التي تسبب له المصائب فهذا أنفع ما يكون.

القول الذي يسوي بين المجرم والمؤمن والذي ينفي حكمة الله تبارك
وتعالى في خلقه ومشيئته هذا من أبطل الباطل وهذا قول الجهم.

الشيخ المهدي عبد الرازق — كتاب الحنفية المسلمة للإمام ابن تيمية

Subject: ص ١٠١ — Date: ١٢ / ١٠ / ٢٠٢٠

(١)

"الدرس التاسع"

الفرقة: هم الجماعة من الناس عندهم آراء خاصة تشمل مسائل الديانة يعني طريقة الدين مثل: أهل السنة - المعتزلة - الأشاعرة - الماتريدية - الكرامية - الجهمية.

المقالة: هي قول خاص في مسألة في المعتقد مقالة خاصة بمسائل الأسماء والصفات ومعناها نفي الأسماء والصفات أو نفي بعض. والخوارج أصحاب مقالة وليس فرقة قال بأن الإنسان يخرج من الملة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكرامية.

كذلك الجبر مقالة قال بها الجهمية والأشاعرة يقولون بالجبر أيضًا.

الملة: هي الدين مثل ملة الإسلام، اليهودية، النصرانية، المجوسية، هكذا والفرقة هي الاختلاف في أصول الدين تحت الدين الواحد وخلافهم ليس في مسائل فقهية وإنما في مسائل الإيمان أو القدر أو الأسماء والصفات أو النبوات أو اليوم الآخر.

المذهب: وهو الاختلافات الفقهية كالمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والظاهري.

النحل: المذاهب الصوفية يدخل تحتها كل مذهب ليس لهم كتاب فمذهب مشترك من الدخل وليس محصورًا أو يدخل فيه أهل الملل والعراقية والإسلامية والباطنية والشيوعية وكل هذا يدخل في النحل.

كان ابن تيمية رحمه الله يتكلم عن بدعة القدرية ولا يتجه إلى الكلام إلا أن أصلها إلى أن الأشاعرة أسقطوا مباحثهم العقلية من كل القدر، فبدأ يتكلم هنا عن كلامهم في الصفات.

فقرر أن هذه نوع من البدعة وإن كان هو جمع بدعاً أخرى وذلك هما صلب البدعة: الأولى: نوع من الأسماء والصفات فهو نفي الأسماء والصفات والتشبيه وموافقة في ذلك ملاحدة الباطنية والفلاسفة وغيرهم وموافقة المعتزلة في نفي الصفات دون الأسماء. أي أن المعتزلة أثبتوا الأسماء دون الصفات أي أنهم أثبتوا الاسم دون الصفة والمعنى.

والكلابية ومن وافقهم من السالمية ومن سلك مسلكهم من الفقهاء وأهل الحديث وموافقته في نفي الصفات الاختيارية. الصفات الاختيارية التي هي صفات فعلية مثل الرضا والغضب، النزول، المجيء يوم القيامة، الاستواء على العرش والذي يقابلها تسمى الصفات الخبرية مثل صفة الوجه، صفة العين، وهكذا.

فائدة: المقالات لابد لها من أصول انطلقت منها وأنت إن لم تعرف الأصول التي تنبني عليها المقالة لا يمكنك أن ترد هذه المقالة، فلابد أن تعلم من أين نشأت هذه المقالة حتى تبطل هذه المقالة أو تعرف كيف تردها.

ومن بدع الجهم بن صفوان أيضاً أنه قال أن الجنة والنار تفنى.

ويبين ابن تيمية أن المعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية.

فائدة: المعتزلة لم يبتدعوا شيئاً من الأصول لكنه وإنما المعتزلة فرع من الأصل

Subject ______ Date / / (٢)

ببلاد ما سألة من الإيمان وهي المنزلة بين المنزلتين وهو أن المؤمن الذي ارتكب كبيرة هو في منزلة بين المنزلتين لا هو كافر ولا هو مؤمن وفي الآخرة مخلد في النار، هم يبدأ بهذه المسألة ثم مسألة القدر: هذا هو أصل المعتزلة وبعد ذلك أضافت المعتزلة أصولًا أخرى إلى هذين الأصلين، لذلك الكلام في الأسماء والصفات هو حادث في المعتزلة لم يكن عند أول أمرهم. وإنما أخذوه عن الجهمية لذلك ابن تيمية قال: المعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية أي أخذوا هذا الأصل من الجهمية وإن كانوا خالفوهم في بعض هذا الأصل لكنهم أي أسسوا هذا الأصل منهم.

"وأما الكلابية فيثبتون الصفات في الجملة، وكذلك الأشعريون" الكلابية الأشاعرة هم أتباع الكلابية، وأبو الحسن الأشعري عند بعض الناس معدود في المدرسة الكلابية هو من أهل السنة وبهذا الاعتزال في مسألة خلق القرآن، وأثبتوا ما لم يثبته أهل السنة وكذلك خالفوا مقالة المعتزلة. ولكنهم كما قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري الهروي: الجهمية الإناث، وهم مخانيث المعتزلة أي الأشعرية. أي أن الأشعرية أخذوا هذا الأصل من المعتزلة

فائدة: الإمام ابن تيمية لعله يقصد بكلمة مخانيث أنهم لم يستفيدوا هذا الأصل وأنهم أخذوا هذا الأصل من المعتزلة ولا يقصد بالسب أو الاستهزاء.

كان أبو الحسن الأشعري معتزليًا مدة أربعين عامًا.

Subject   Date / /

ومن أيضاً أخذ الناس من يقول: المعتزلة مخانيث الفلاسفة

وقد ذكر الأشعري وغيره هذا لأن قائله لم يعلم أن جهماً سبقهم إلى هذا الأصل. أو لأنهم مخانيث مع بعض الوجوه وإلا فأيمن الفلاسفة كبيرة جداً. أي أن قائل كلمة المعتزلة مخانيث الفلاسفة لم يعلم أن جهماً سبقهم إلى هذا الأصل أي كان المفروض أن ينسب جهم إلى أنه أصل نفي الصفات وليس المعتزلة لأن المعتزلة أخذوا نفي الصفات ليس من الفلاسفة وإنما من جهم، والمعتزلة أيضاً كان موجوداً في الفلاسفة ولهم تصانيف نقد الفلاسفة كلأن الفلاسفة لم يسلموا منهم.

من الأخطاء المشهورة أن الناس تعرف أن الإمام أحمد كان يناظر في مسألة خلق القرآن المعتزلة وهذا ليس صحيحاً الإمام أحمد كان يناظر الجهمية وبعض المعتزلة اتباعاً وهذا الأصل من الجهمية وبدعة خلق القرآن هي أيضاً من الجهمية فأصله جهمي وكان بعد ذلك المعتزلة.

الجهمية = هم نفاة الصفات وكذلك أن المعتزلة كذلك وكذلك أن المعتزلة الفرقة معروفة. الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان وهؤلاء لهم مقالات مشهورة في باب الإيمان والقدر والكلام والصفات واليوم الآخر والنبوات وغير ذلك > الجهمية هم مقالة معناها تعطيل الصفات (نفي معاني الصفات) وكذلك تعطيل الأسماء.

المعتزلة: المعتزلة اعتزلوا بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، لما خرج ذلك عمرو بن عبيد، وكان هو وأصحابه يجلسون معتزلين الجماعة، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة، وكان ذلك بعد موت الحسن البصري في أوائل المئة الثانية، ولم تكن حدثت الجهمية.

فائدة: ابن تيمية رحمه الله لما تكلم عن الجهمية لا يقصد أن الجهمية أسبق من المعتزلة في الوجود، المعتزلة أقدم لكنه يقصد أن بدعة نفي الأسماء والصفات أو بدعة تعطيل معاني صفات الله نشأت عند الجهمية ثم أخذها عنهم المعتزلة. لا أن المعتزلة نشأوا بعد الجهمية، وكان أوائل المعتزلة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد.

يريد ابن تيمية أن يقول أن بدعة القدرية أول ما نشأت في أواخر عهد الصحابة الذين تأخروا وماتوا مثل ابن عمر وابن عباس، وكان ذلك في خلافة عبد الله بن الزبير، فهؤلاء هم القدرية الأوائل كانوا يزعمون أن الله لا يعلم ولم يكتب الأشياء قبل حدوثها، وهؤلاء كفرهم أهل العلم، ومن نفى علم الله السابق فهو كافر. فابن تيمية يريد أن يفصل بين بدعة القدرية الأولى التي تأخروا - الاعتزال - ومن الجهمية وبدعة جحد الجهمي - البدعة الأولى التي تنفي علم الله تبارك وتعالى.

ثم بدأت بدعة المعتزلة بعد موت الحسن البصري وهي المنزلة بين المنزلتين ثم بعد ذلك كانوا يبنوا عليها القول بإنفاذ الوعيد وخلود أهل التوحيد في النار أي أن المسلم مرتكب الكبيرة إذا مات عليها لا يمكنه أن يدخل الجنة.

وهذا من أصول المعتزلة الخمسة.

ضموا إلى البدع المتقدمة القدر، فتأكدوا أن بدعة القدر تأخرت عن بدعتهم
في الإيمان ثم بعد ذلك نشأ بعدها نفي الصفات. والقول بنفي الصفات
هو قول المعتزلة، فتأكدوا أن أول بدعة نشأت في مسائل الإيمان الكبرى هي
الفاسق، أي صاحب من ارتكب الكبيرة، هل هو مسلم، ثم بعد ذلك ترتب عليها بدع
وجاءت بدعة القدر، أي أنهم زعموا أن الله لم يكتب ولم يشأ أفعال العباد.

بيّن الإمام ابن تيمية أن أول من أحدث نفي معاني الأسماء والصفات
هو في زمان الجعد بن درهم، وأن خالد القسري وكان من بني أمية
ذبحه. ثم ظهر جهم بن صفوان من ناحية خراسان من ترمذ، أي أن جهم بن صفوان
اتبع الجعد بن درهم.

فائدة: أهل كل مصر ينبغي أن يكونوا على علم بالمقالات في بلدهم
حتى يتولوا هم رد هذه المقالات. يريد أن يقول إن علماء السنة في خراسان
بالخصوص تولوا الرد على بدعة الجهمية أكثر من علماء الحجاز والشام والعراق لأن
الأرض التي نشأت فيها هذه البدعة هم علماء خراسان.

يريد أن يقول أنه لما ظهرت مقالة الجهم بن صفوان في الصفات تصدى
لها هؤلاء العلماء الأكابر أمثال: إبراهيم بن طهمان، خارجة بن مصعب، وعبد الله
بن المبارك، وابن الماجشون، وكذلك الأوزاعي وحماد بن سلمة. وهؤلاء العلماء
علموا منها أكثر من علماء الشام والحجاز والعراق لأن البدعة نشأت بين ظهرانيهم
من أهل خراسان.

Subject ______ Date / /

فائدة: ابن تيمية يعيب خطأ جمهور الذين يقولون أن الإمام أحمد كان يناظر المعتزلة، لا، الإمام أحمد كان يناظر الجهمية، والمعتزلة أخذوا من الجهمية هذه البدعة، وكان من يناظرهم سماهم معتزلة ولكن هذه البدعة نشأت أساسًا من الجهمية الذين ظهروا في عهد المأمون ثم المعتصم

ويبين أيضًا أن ابن أبي دؤاد خصم الإمام أحمد نفاة الصفات من الجهمية المحضة مثل أبي عيسى محمد بن عيسى برغوث وبشر المريسي أصحاب حسين النجار وأئمة السنة كابن المبارك وأحمد وإسحاق بن راهويه والبخاري وغيرهم يسمون هؤلاء جهمية

والصواب أن الإمام أحمد كان يناظر الجهمية ومقالة الجهمية قال بها من هم من الجهمية وقال بها كذلك المعتزلة.

كثير من الناس يظنون أن خصوم الإمام أحمد في محنة خلق القرآن كانوا من المعتزلة وهذا ليس دقيقاً، الصواب أنهم كانوا جهمية وليسوا معتزلة، والمعتزلة كانوا بعض خصوم الإمام أحمد، وكانت أصل هذه البدعة عندهم وهي بدعة خلق القرآن أو بدعة نفي الصفات بشكل عام.

والمقصود هنا = أن جهماً اشتهر عنه نوعان من البدعة، أحدهما نفي الصفات، والثاني: الغلو في القدر والإرجاء. فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب، وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة.

وعلى قوله هذا يكون فرعون وإبليس بل كل كافر يعرف الله يكون مؤمناً صحيح الإيمان وهذا قول باطل.

والصواب الذي دل عليه الوحي: أن العبد فاعل وله إرادة وقدرة ومشيئة لكن العبد لا يخلق فعله فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وكتب كل شيء بمشيئته وقدرته وخلقه، لكن العبد يفعل بقدرته ومشيئته واختياره، وكل ما خرج عن المشيئة والقدرة والاختيار من العبد يكون معذوراً فيه كالإكراه والخطأ وكذلك النسيان.

بيّن الإمام ابن تيمية أن المعتزلة الذين أخذوا عن جهم نفي الصفات وافقوه في بعضها لكنهم خالفوه أشد المخالفة في القدر والإرجاء، لأن المعتزلة من باب القدر على النقيض يقولون أن الله لم يخلق شيئاً من أفعال العباد وهو يقول أن الإنسان لا قدرة له ولا مشيئة، والمشهور عند المخالفة منهم أن الإنسان هو الذي يخلق فعل نفسه.

فبينما هو ينفي عن الإنسان المشيئة والاختيار والاستطاعة هم يقولون أن
الإنسان هو الفاعل كليًا لفعله ولذلك لا يكون الله خالقًا لأفعال العباد
وفي المقابل جهم يقول الإيمان مجرد المعرفة وهم يقولون بخروج مرتكب الكبيرة من الإيمان
فلا هو مؤمن أو يسمونه بالمنزلة بين المنزلتين ويجعلونه خالدًا في النار

ونريد أن نضيف أن نقول: أن المعتزلة وافقوا جهمًا في باب الصفات
أي في الأصل وإن كان ليس هنالك مطابقة. وخالفوه في القدر والإرجاء
وبشكل عام حتى أفراد الفرقة الواحدة يمكن أن يختلفوا في درجة كفرهم
وبعده البدعة أو بعده الضلالة فليسوا على درجة واحدة؛ المؤمنون درجات،
والكفار درجات، المبتدعة درجات، حتى الفرقة الواحدة يكون أهلها كثير
على درجات وهذا أصل عام للإنسان لمعرفته.

ونجد أيضًا أن الأشعري وافق جهمًا في أصل مقولته في الصفات والقدر والإرجاء
فأثبت أبو الحسن الأشعري الإرادة، ولكونه ظن أن الإرادة هي المحبة فقال
إن الله يحب المعاصي وهذا باطل فالله سبحانه وتعالى لا يحب المعاصي، بل
يكرهها ويكره الكفر، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، ولا يرضى لعباده الكفر
والله لا يحب الفساد، ولا يحب الكافرين. فالله سبحانه وتعالى يريد شيئًا وهو لا يحبه
فلا تلازم بين الإرادة والمحبة. فلما قال أبو الحسن الأشعري أن الإرادة هي المحبة
وبما أن الله أراد المعاصي، أي أراد خلقها ووجودها، فهو يحبها، وهذه
من المقالات الخاطئة التي تستلزم لوازم باطلة. فهي مقالة باطلة

وخطأ المتكلمين في الإرادة والمحبة، وفي هذا أقام الإنسان مثالًا حسيًا، الإنسان يحب أشياء كثيرة ولا يفعلها، ويفعل أشياء كثيرة وهو لا يحبها، ولله المثل الأعلى.

(فائدة) = الموجز هو مما كتبه الأشعري ألفه بعد رجوعه عن الاعتزال.

وهذا الكلام في القدر الذي وقع فيه الأشعري شاع في كثير من الصوفية ومشايخ المعرفة والحقيقة.

وهؤلاء لا يذكرونه هنا من باب الصفات فقط ولكنه في مسائل الأفعال والقدر ويقرون بقوله.

(فائدة) = كتاب منازل السائرين للهروي - أبو إسماعيل الأنصاري الهروي - الذي علق عليه ابن القيم كتاب - مدارج السالكين -

ويرى ابن تيمية رحمه الله أن أبا إسماعيل الهروي كان يقول أو يميل إلى كلام الأشعرية مع أن الأشعرية من أقرب هذه الطوائف للسنة والحديث وربما كان يلعنهم وهذا من العجب

(فائدة) كثير من الناس عنده شيء من الحق ولكنه يخلطه بالباطل ويتحول من كونه مظلومًا يستحق النصرة إلى معتدٍ وظالم يستحق أن يؤخذ على يديه وقليل من الناس هم الذين يأخذون حقهم بالقسط ولا يعتدون. وهذه سنة سيئة

مثلا. وقليل من الناس من يدافع عن حقه أو حق أهل الإسلام والمسلمين من الأعداء

ويرى ابن تيمية أن الهروي وقع في مسألة شهود القدر، أي أنهم يزعمون أن الإنسان إذا نظر إلى كل المخلوقات أنها من خلق الله تستوي عنده الحسنة والسيئة ولا فرق في الحكم ويجامع أن الجميع خلقه الله

وهم سيطيعون الله لأن الله أرادهم أي أراد كونهم.

ويزعمون أن الإنسان يفعل ما مراده بمراد الله، فيقول بأن الله تعالى
أراد ذلك فهو يحبه فلابد أن أحبه أنا أيضاً، وهذا باطل فإن الله تبارك وتعالى
بين أنه خالق كل شيء لكنه فرق بين الطاعة والمعصية وبين المؤمن والكافر
وبين أن حكمهم عند الله لا يستوي "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات"، "أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار"، فإنه كان بجميع مشيئة الله
ومشيئته لكنه الله تبارك وتعالى فرق بينه، فيجب أن نجمع بينهما حيث جمع
الله ونفرق بينهما حيث فرق الله، فهؤلاء يزعمون أن الإنسان لكونه
علم أن الله خالق الجميع ومريد الجميع أنه شاءه وقدره فيجب أن يحبه وهذا
باطل. فلا تلازم بين الإرادة والمحبة، إنما يجب أن تكون محبتنا تابعة لمحبة الله
فما أحبه الله نحبه قال تعالى "ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم
الكفر والفسوق والعصيان"
فتبين بهذا أن الصوفية وإن كانوا خالفوا الجهمية في باب الصفات ولكنهم
وافقوهم في باب القدر، أي بما أن الله أراد ذلك وشاءه فهو يحبه فأنا أحبه
لمحبة الله، وهذا باطل.

(فائدة) ابن تيمية رحمه الله هنا يرد على طائفة من الطوائف ويكون بعضهم أقرب
إلى أهل السنة من بعض فإنه يحاول ابن تيمية الأبعد فالأقرب

بمعنى أنه يقول لهؤلاء أنتم وإن كنتم صوفية بخلاف متقدمي الصوفية،
وذلك هذا ليس تصوف الأئمة كالجنيد وأبي سليمان الداراني وسهل
التستري، والفضيل بن عياض، وغير هؤلاء، فابن تيمية كثيراً ما يحاول
أن يخاصم المخالفين من الصوفية والذين جعلوا بدعاً أخرى مع الصوفية يحاول
أن يحاججهم أو يخاصمهم بما كان عليه أئمتهم المتقدمين لديهم ومن أرضى
هؤلاء وابن تيمية يثني عليه كثيراً ويصفه بأن له مقالات جميلة وأنه
كان قريباً جداً من أهل السنة وهو الجنيد.

فيعني أن الجنيد لما أثيرت هذه المسألة - هل الإرادة هي المحبة وأننا
نفني فيه مراداتنا وكل ما أراده الله يحبه وهذا الكلام الذي يخالف الكتاب والسنة
فقال الجنيد لهم أن هذا خطأ وفيه لبس الفرق الثاني، وهو أنه لابد
مشيئة الله وخلقه، ولكن هناك فرق أن الله يحب الطاعة ويكره المعصية ويحب
الإيمان ويكره الكفر، يحب المؤمن ويكره الكافر، فهذا الفرق ليس كل ما خلقه
الله سواء أصبح محبة.

تنبيه

اللوازم من أهم الأمور التي تكشف الأخطاء العلمية - أن يلزمه ما ينبني من قوله
أي من سوى بين جميع المخلوقات بما فيها أن أرادها الله وشاءها وخلقها لزمه
أن لا فرق بين الحسنات والسيئات وبين الأنبياء والعصاة
. والفرق عند الأشعري فقط من باب أن هذا نعيم وهذا عذاب، ولكن من ناحية
المحبة سوى بين الجميع وهذا قول باطل شرعاً وعقلاً بل وفطرة وهذا ما يسمى
بمسلك الحلولية الذي قاله وهو أن الإرادة هي نفسها المحبة وأن كل ما أراده الله فهو يحبه.

وهذا القول باطل قطعاً.

والأشعري كان أفضل منهم حيث جعل المؤمن مطيعاً، والكافر عاصياً، وإن كان الله يحب هذا الفعل وهذا، لفعل لدلالة إرادة، وهذه بدعة، والأشعري كان أقرب منهم إلى الصواب لكنه ليس بدرجات، لأن هؤلاء يدعون أن العارف إلى مقام الفناء لا فرق عنده بين هذا وهذا، وهم قد خلطوا ما جاء به الحب وهو الرب، وهؤلاء ضلوا بل كل حرف لأنهم زعموا أن الله يحب الكفار، كما يحب المؤمنين، ويحب الكفر كما يحب الإيمان، وأنه شاء هذا وشاء هذا فيحب هذا ويحب هذا. وكذلك ما جاء به الحب أنهم سووا بين الكافر والمؤمن.

وبين ابن تيمية أنه من لم يهتدِ بالوحي في هذه المسائل فلابد أنه يخرج بما يمليه عليه هواه، فكل من لم يتخذ القرآن إماماً له لابد أنه يتبع هواه ويتبع شيطانه. "فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم" وأفضل الناس عقلاً من يريد أن يصل إلى الله من خلال كلام الله، الله سبحانه وتعالى الذي خلقك هو الذي أنزل لك هذا الكتاب، الله الذي أنزل بالهداية لم يتركك "أيحسب الإنسان أن يترك سدى"، فالله سبحانه وتعالى الذي خلقك وأمرك بالإيمان لا يمكن أن يتركك بعبادة بلا هداية، فالرب الذي أنزل لك الهداية في القرآن كيف تتبع غيره للهدى.

وخلاصة ذلك: أن الجهم اشتهر ببدعتين الأولى: نفي الصفات، واتبعه عليها طوائف كثيرة منهم المعتزلة وغير هؤلاء والكلابية، والسالمية، وبعض الفقهاء والمحدثين والكرامية، وهكذا. الثانية: هي ما انفرد به، فقال بالإرجاء، والقول بالجبر

وبين أن يدخله في الجبر بغير الأعمال ويوقع عليه؟ لكن الأرجح نسبته إلى الموافق غيره.

- الذين نفوا حكمة الله وقالوا أن الله يفعل لمجرد المشيئة،

فهؤلاء يقولون: إن الرب يجوز أن يفعل كل ما يقدر عليه، ويمكن فعله من غير مراعاة الحكمة، ولا رحمة ولا عدل، ويقولون: أن مشيئته هي حكمته.

بل الله يقدر على أشياء كثيرة ولا يفعلها ولم يشأها.. "فمن يملك من الله شيئًا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا" "قل هو القادر أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا" وهذا لم يفعله الله سبحانه وتعالى. "وإنا على ذهاب به لقادرون" "وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون" والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير لكن ليس كل ما يقدر الله عليه يفعله وهذا ليس مدحًا؟ ومن الذي قال أن الذي يفعل كل ما يقدر عليه يكون محمودًا؟ وهل كون أن الإنسان يفعل كل ما يقدر عليه يكون كاملًا؟ بالعكس، الكمال هو أن يفعل بمقتضى الحكمة.. فالذين ينسبون الله تبارك وتعالى أنه يفعل كل ما يقدر عليه هؤلاء ينسبونه إلى النقص ليس إلى الكمال، الكمال هو أن يكون الله على كل شيء قدير سبحانه وتعالى وأن لا يفعل إلا بحكمة، لذلك يقول الله تعالى "العزيز الحكيم" حتى نعرف أن عزته بحكمة، وليس فيها ظلم. ولهذا تجده النهي غير معظم للأمر والنهي، والوعد والوعيد، بل هو متحلل من الأمر الشرعي كله. فهؤلاء الذين سووا بين الطاعة والمعصية، هل يمكن أن يعظموا الأمر والنهي؟!

وتعظيم الأمر والنهي منبعه من أمرين: أن الله عز وجل يحبهما، يحب هذا ويكره هذا، والأمر الثاني أن الله يثيب على هذا ويعاقب على هذا فالعاقل أنا سأطيعه؟ ما همّي أن أكون مطيعاً أو أخاف أن أكون عاصياً؟

لكن هؤلاء لما كانت عندهم هذه البدعة وسووا بين الأمر والنهي والطاعة والمعصية، زعموا أن الله تبارك وتعالى لأنه شاء الشيء فلا بد أنه يحبه وهذا قول باطل، فإن الله تبارك وتعالى قد شاء شيئاً وهو لا يحبه.

ثم لذلك فإنه أثبتوا أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأثبتوا أن ما شاء الله كان، ولكنهم نفوا حكمة الله، وهذا نقص، بل هو نقص لقصد هذا الكمال.

سؤال: بعض الناس من نفاة أسماء الله وأفعاله تبارك وتعالى قالوا: الكمال من صفة الله أنه ليس كمثله شيء، وهذا ليس صحيحاً، لأنه يكون من صفة الله أنه ليس كمثله شيء فإنه له الكمال، ولكن ليس كون الشيء ليس له مثل يكون هذا مدحاً. مجرد كون الشيء لا مثل له ليس مدحاً، إنما الكمال أنا يكون الله له الكمال من العلم والحكمة وغيرها من كل صفات الله وليس كمثله شيء.

فليس الكمال من صفة الله فقط أنه ما شاء الله كان، ولكن الكمال الذي جاء به الوحي قال الله تعالى: "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً"، وقال تعالى "حكمة بالغة"، فإنه كان الله سبحانه وتعالى على كل شيء قديراً فهو كذلك للأفعال الإلهية حكمة، لذلك قال: "وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً"، لكن هؤلاء نفوا الأسباب ونفوا الحكمة، وقالوا أن هذا معنى "لا يُسأل عما يفعل".

فائدة: الحكم ما كان له شريعة أصله من كتاب الله تبارك وتعالى، والإنسان في هذه الدنيا لا يمكنه أن يهتدي بغير الوحي المنزل من الله، ولما نزل نبينا آدم عليه السلام أمره الله تبارك وتعالى بقوله: "فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى" وهنا التوكيد أن اتباع الهدى هو الطريق الوحيد وهذا النفي بالجملة ومعنى أنه لا يضل ولا يشقى، الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة. وإن كان بعض أهل العلم يجعل الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة لكنه يشقى في الدنيا بسبب عدم اتباعه للوحي. "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا"

سبب ضلال جمهور المتكلمين أو هؤلاء الفرق: أنهم لم يجعلوا الوحي سبيل الهدى، أي جعلوا الهدى يوجد من غير الوحي إما من الذوق أو الوجد أو الفلسفة لما ترجموا الكتب وهذا هو أصل البدعة نشأت عليه جملة من البدع من باب الإيمان، والقدر وأسماء الله وصفاته، واليوم الآخر وفي كل باب التعبد، وهذا معنى قولهم كل شيء له طريقة، أي كل شيء يدرك بطريقة تعبد معينة تسمى السلوك. "فكل هذه الأشياء مبتدعة، والصواب هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فمن رغب عن سنتي فليس مني" فإذا لابد أن نعرف السنة. وبيان هذه البدع لابد أن يكون ببيان السنة. ومن طرق المقاومة للبدعة هو بيان السنة، ومن طرق المقاومة هو رعاية الصبيان ونشر الصبيان ومن طرقه النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

مزاحمة هذا الباطل موجودة من أشكال هذا الباطل وهذا للأسف كثير من الناس يغفل عنه، ظنه أن نهي عن المنكر محصور في إزالة عين المنكر فإذا لم أكن مستطيعاً لإزالته أقف عاجزاً، وهذا ليس صحيحاً، بل الإنسان نهى عن المنكر بإزالته إذا كان قادراً أو كذلك نهى عنه بمزاحمة الطيبات وأعمال الخير.

يقول الإمام ابن تيمية كلاماً شاذكرنا: لكل قتل كفه أن يكون الحج من قابله مشهوداً والقرآن على لسانك موجوداً. أي حج ما ذكر لكن يكون الحج كلام لكنه ما قابله هذا الحج موجود

فائدة: أي إنسان يترك هدي النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يخترع طريقاً آخر إلى الله. وكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يحدث بدعة تكون في مقام هذه السنة، وبعض هؤلاء يظن أنه يبلغ مبلغاً عند الله أنه يحكم أن يأمر الله، وقيل ذلك في الرجل الذي قال لصاحبه والله لا يغفر الله لك، قال الله من ذا الذي يتألى علي، وهذا يؤكد أن هذا الرجل كان يقوله من باب الإلزام. الغرور والإعجاب بالنفس. يخبر الذي يقسم على الله ويبره هذا من باب الرجاء والدعاء وحسن الظن أما الآخر من باب الكبر والاستعلاء.

فائدة: الخطأ حينما يكون أصلاً سيتشعب إلى عدة أخطاء، وهو لابد الخطأ الأصلي للذين زعموا أن كل ما شاءه الله فهو يحبه. أي كل ما قدر الله وجوده فهو يحبه ويرضاه، والله سبحانه وتعالى شاء وجود كل شيء

والله سبحانه وتعالى قدّر وجود الشر وقدّر وجود الزنا والكفر والفسوق هذا التقدير مشيئة، ما شاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلولا لما ظنوا أن الله شاءه فأحب إذا عندهم يمكن أن يعطي الله هذا الكافر كما يعطي المؤمن فقالوا أن الله يمكن يجري كرامات على يد الكافر الفاسق، فظنوا أن الخوارق التي تجري على أيديهم معجزة للصالحين وأن هذه كرامات الله، هذه خوارق الشياطين وليست كرامات الله لأن الله لا يكرم أعداءه وأن الله يبغضهم.

قاعدة: كلما كان الإنسان عزيزاً على المسلمين كلما ذل للكافرين كان هذه سنة. ومن أحكامها الطلب به.

وهذه شبهة عندهم: إذا كان الإنسان يصل إلى الطاعة والخصوص والحضور حلالاً أو حراماً) أي وصلت بك الحالة عند الله بالخصوص من ذا الحجاب أي رفعت لنفعل ما تريده بدون طاعة الله ورسوله.

وهم بهذا جعلوا الإنسان وليًا لمجرد أن ظهرت عليه الخوارق ولم يقيدوا الصلاح بالعلم الصحيح والإتباع الصادق والتقوى. وهذا باطل لأنه لا يكون بينهم فرق للعادة والكرامة، والمسيح الدجال تظهر على يديه خوارق وهو الكافر الفاسق، ضابط الولاية في القرآن: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون" هذا هو الولي

صـ ١١٥

(الدرس ١١)

بين ابن تيمية أن ما يقال ويروى أن سهل التستري قال إنه بعض الأولياء لو قالوا لربنا لا تقم القيامة لم تقمها، وهذا الكذب وبطلانه ظاهر لأن نظيره أن الله لا يقيم القيامة، وبين أن هذه الحكاية إما كذب على سهل ويميل ابن تيمية إلى ذلك - أو يكون غلطاً منه.

وبين أن كل ما علم الله أنه سيكون فلا يقبل الله دعاء أحد فيه أن لا يكون.

وبين أيضاً فيه الدعاء هنا وهو أن الله سبحانه وتعالى جعله سبباً لما قدر حدوثه ويعد السبب، ومنه الاعتداء في الدعاء أن تسأل الله شيئاً قد علم أو الله قدر أن لا يكون؟ أو أن تسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يوجد شيئاً علم أنه سيكون، وقد أبطل ابن تيمية هذه الحكاية بأدلة واضحة كالشمس.

وهذا مع كونه ظاهر البطلان وهو مقدم من العقل ومن الشرع ومن كل دليل ومع ذلك يرد ابن تيمية عليه ويبين بطلانه.

وبين أن محمداً أفضل من كل من في البصرة لو سألوا الله تعالى ما يريدون هذا علم كالبينة؟ كما سأله إبراهيم عليه السلام أن يغفر لأبيه، وكما سأله نوح عليه السلام نجاة ابنه. فقيل له: «يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم»

وأفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، قيل له لما استغفر لعمه أبو طالب «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى»

فإذا كان الولد الشقي لم يحبه الله سبحانه وتعالى لأنه يخالف ما أمره

الله، فكيف يستجيب الله لوالده الذي طلب منه الهداية ويدعو الله

سبحانه وتعالى بهذا الأمر المتكرر الذي يخالف ما قدره وبينه ووجهه وجهدا؟

من بديع الاستدلال.

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من داع يدعو بدعوة

ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن

يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له من الخير مثلها، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها،

والكريم الرحيم إذا سئل شيئاً بعينه، وعلم أنه لا يصلح للعبد أعطاه

أعطاه نظيره، كما يصنع الوالد بولده، إذا طلب ما ليس له، فإنه يعطيه من ماله

نظيره، ولله المثل الأعلى.

فالعاقل هو الذي يكثر من الدعاء ولكنه لا يستعجل الإجابة ويعلم أن ربه أرحم

به من أمه

يقول ابن تيمية أن العبد إذا علم العبد أن الحسنة من الله فعليه أن يسأل

يحبب الله هذه الحسنة

فإذا كانت الحسنة أضيفت إلى الله فإنه العبد يوفق إلى الطاعة ويهدي

النعم الله سبحانه وتعالى فيجب عليه أن يشكر الله، كما عليه أن يدعو الله

ويشكر الله على ما أعطاه من النعم ويدعو الله ويسأله هي بطلب من النعم

منه أن هناك من الناس يلجأ إلى الله في حالة الشدة ثم إذا أكرمه

الله وأجاب دعاءه ينسب الفضل إلى غير الله ويشكر غيره ويعبد غيره ويحمد غير الله قال تعالى " وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار "

فائدة : الله سبحانه وتعالى ذم من باب الدعاء من إذا نزلت به الضر لم يدعو الله هذا صنف، والصنف الآخر من يدعو الله وقت الضر ويشكر غير الله ويعبد غير الله. كما قال تعالى : " ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون " وقال تعالى : " وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون "

الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بالشدة ليدعوه وليتوسلوا إليه ويتضرعوا إليه، وهذا جزء من حكمة الابتلاء " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " فالله سبحانه وتعالى يصيب الإنسان ليستخرج منه هذه المعاني، فإذا كان الإنسان مع هذه الظروف وهذه الأحوال لا يدعو الله فهذا أشخص لا حظ فيه أصلاً،

ومنه أيضا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. إذا صدر منهم شيء يحتاج إلى استغفار أو توبة فإنهم يبادرون بذلك عليهم السلام فإن الله ذكر ذلك لنتأسى بهم قال تعالى " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين "

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ،، وقال تعالى ((
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم))

فائدة =

قال تعالى ((وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين))

وهذه القراءة قرأ بها جمهور القراء ، وابن تيمية يرجح أن النبي هو الذي قتل ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا بسبب هذه المصيبة ، وذكر ابن تيمية ما هو صنيع أهل الكتاب أهل هذا القول ؟ من منهم أن الجموع الكثيرة هم الذين قتلوا أتباع النبي لم يهنوا ولم يستكينوا ولم يضعفوا بسبب قتل كثير من أصحابهم ، وليس المقصود أن النبي هو الذي قتل معه ربيون أي القول بأن النبي هو الذي قتل معهم هذا يناسب لسبب النزول لأن سبب النزول كان ما أشيع يوم أحد حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل " اثبتوا وقاتلوا على ما كان يقاتل عليه " فهذا القول يناسب سبب النزول ولكنه لا يناسب لفظ الآية .

فالمناسب أنه مع كثرة المصيبة ما وهنوا ولو أريد أن النبي قتل ومعه ناس لم يقاتلوا لم يحتج إلى تكثيرهم بل تقليلهم هو المناسب لأن فائدة التكثير لم يكن ما عندهم بذلك عبرة .

يريد ابن تيمية أن يقول ليس كل معنى تحتمله الآية يكون معتبرًا هل ، ما أن الصحابة كانوا يوم أحد يريدهم مقتلة ، فلو يناسب أن يقولوا

الله لهم (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا) أي الربيون هم

الجماعات الكثيرة كأنه ربما يقول لهم كان هؤلاء ونبيهم قتل إذ أعدادهم

كثيرة فما وهنوا) أي هؤلاء كانت أعدادهم كثيرة فلما حصل ذلك لم يهنوا ولا

استكانوا) فأين شيء يقول هذا الأسباب الموقفة المطلوبة من الآية.

وكان أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ما أحد منهم لم يكونوا على كثرة، فكيف يذكر

القلة بالكثرة. فلما أردنا أن نذكر نذكر بالقلة فلا ينبغي أن نقول هنا كان

نبي قتل وكان معه أتباع كثيرون جداً ولم يهنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا بسبب

موته هذا الأسباب الموقفة،

وأيضاً لم نعرف أن نبياً مات في الجهاد، فكيف يقال وكأين من نبي قتل معه

ربيون كثير فظاهره أنهم كانوا في الجهاد وهذا النبي قتل.

أيضاً ذكر ابن عثيمين القول الثاني أنه تكون صيغة لكل أحد يستطيع أن يكون

المعنى: وكأين من نبي عنده أتباع قتل منهم عدد كثير في سبيل نشر دينه

ودعوته ولم يضعف الباقون بسبب قتل الكثير منهم.

والمقصود هنا أن الإنسان إذا رزقه الله بنعمة رزقه الله ولداً أو زوجة

أو غير ذلك فإنه يأتي منه أو نعمة فلا بد أن يشكر ربه تبارك وتعالى لأنه الحسنة

من الله كما قال الله سبحانه وتعالى: "وما بكم من نعمة فمن الله" وإذا أصابته

مصيبة فليعلم أن ذلك من نفسه. "وما أصابك من سيئة فمن نفسك" فيستغفر

الله تبارك وتعالى، فيجمع بين الشكر لله والاستغفار من الذنوب.

كما ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول:
"ربنا ولك الحمد، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت
من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد"
ثم يقول بعد ذلك "اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد
منك الجد"

أحق كلمة قالها العبد هي كلمة "الحمد لله" والحمد لله أنك تثبت لله
كل كمال وكل فضل وكل إجلال وكل نعمة، وهي أحق ما قاله العبد، التي كلمة
حق تتطلع إلى العبد هي أن تقول الحمد لله وخصوصا إذا قال هذه الكلمة وهو يدرك
معناها وهو يشعر بمعناها. حتى إذا أصابتك مصيبة فأنت تحمد الله لأنك
تعلم أن الشر ليس إلى الله وأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن هذه المصيبة
أصابتك بسبب نفسك وأن هذه المصيبة باب من أبواب الخير في تكفير السيئات
وفي رفع الدرجات بالصبر عليها وهكذا.

لا ينفع ذا الجد منك الجد: أي لا ينجيه ولا يخلصه من سؤالك وحسابك عظمة
وعظمته وغناه، وأن الدنيا مهما كثر ماله أو كثر جاهه أو كثرت رياسته
أن ذلك لن ينفعه عند الله أي لن يغني عنه ولن يخلصه، لن ينجيه إلا
الإيمان والعمل الصالح "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" فيمكنه أن يكون
الرجل ليس معروفا، ويكون فقيرا، ويكون لا يؤبه له، ويحبس ويظلم ويضرب
وهو عند الله من أعلى الدرجات ورجل آخر يكون من أكابر الدنيا ويكون

فكلما فضلنا لقارون وفرعون وهامان، كان تفضيله الدنيوية ولا يساوي عند الله شيئاً.

• التفضيل في الدنيا هو ابتلاء واختبار، لكن في الآخرة هو تفضيل جزاء "وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً". قال تعالى "من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً"

فالله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، الله سبحانه وتعالى يعطيه ما يشاء هو سبحانه وتعالى، وليس بقدر ما يريد هو، وليس كل ما يريده يأخذ من الدنيا »، بمعنى أن الله يعجل له ما يشاء هو سبحانه.

ومن كان أجره على الله فلا يحزن

قال تعالى: "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا"

أي التفضيل الذي تسعى له أن تكون مفضلاً عند الله في العمل الصالح، وليس أن تكون مفضلاً على شخص أن تكون أكثر منه مالاً وأجمل منه شكلاً وهكذا. والله سبحانه وتعالى يبين أن الإنسان يأخذ من هذه الدنيا بقدر ما يحتاج، لكن يعيش للآخرة "ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك" "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة" "إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه" فمن استيقن أنه سيلاقي الله ماذا عمله.

قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد»

ربنا يقول لك انظر ماذا قدمت لك ماذا ستقابلني به، وإن لم يستر ذلك

الله مما علمه من ذنوب سوف يرى ما قدم فإذا عرضها الله عليه

فائدة: قال ابن تيمية رحمه الله «ولا يشفع ذا الجبر منك الجبر» أي هذا

الفضل تتقدم فيه فتحت وتكلم أي لا يكلمه صاحب الجبر منه أي مكة

عند الله ولا ينفعه، ولا يتحقق من عذاب الله سبحانه وتعالى، فضم أنه لم يكلمه

ولم يتحقق ويكون هذا أبلغ في البيان

قال ابن تيمية رحمه الله «إذا كان الرسول لأجل أنه رسول الله

يجب أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه، فكيف بربه سبحانه وتعالى؟

وفي صحيح البخاري أن عمر قال: «يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من

كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال

: فوالذي بعثك بالحق لأنت أحب إلي من نفسي، قال: الآن يا عمر»

وقال تعالى «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وقال تعالى «قل إن

كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها

وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد

في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين»

فإنه لم يكتف الله بحب الله ورسوله، وجهاد في سبيله أحب إلى العبد من الأهل

والمال على ما جعله أولاً، وإن كان مسلماً فإنه داخل تحت هذا الوعيد.

(فائدة) كلما كان الإنسان عالماً بالقرآن عالماً بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته وهديه، كلما كان أقرب إلى معاني الإيمان، لأنه سيعرض عمله على هذا فلا يمكنه أن يغتر. وكلما كان الإنسان عالماً بتقصيره وأعلم بالواجبات عليه كلما كان أبعد عن الإغترار بالنفس واحتقار غيره.

قال الله في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في المؤمنين "أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب".

فالإنسان لا يغتر بعمله إلا الجهلة: فلو لا كل من الله فلا يصح لأحد من عمله أن يغتر، وأن عمله هذا بالنسبة لما أوجبه الله عليه قليل جداً، لذلك يحتاج الإنسان أن يستغفر ربه تبارك وتعالى،

لذلك قال الله تعالى لنبيه بعد الفتح في آخر السور التي نزلت "إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً" أي تعظم الله وتنزه الله عن كل نقص وأذكر نعمة الله عليك وأن هذا ليس شيئاً وأن نصر دعوتك ودخل الناس في دينك إلى الله وحده، واستغفره إنه كان تواباً، فإذا كان الله تبارك وتعالى أمر أشرف الناس وسيد ولد آدم بالاستغفار فكيف بنا نحن.

أعرض نفسك على المعاصي على القرآن على صفة الله التي أرادك عليها وليس على الناس، فإذا عرضت نفسك وعرضت نفسك على المعاصي والله ستستحي من نفسك.

والإمام أحمد لما وجد من تعظيمه وغلوا فيه فقال له تلاميذه: هؤلاء يعلمون أن يكونوا مثلك لذا يعظمونك فقال له: "يا بني إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس" أي إذا كان الإنسان بصيرًا بتقصيره وعالمًا بالصورة التي يجب أن يسعى إليها لا يسعه أبدًا أن يغتر، ولا يمكنه أن يغتر إلا أن يقرأ القرآن ويفهم ما يقرأه. فهذا الغرور يصيب الإنسان الجاهل فقط.

فائدة: كلما ازداد الإنسان علمًا كلما عرف قدر علمه وأن ما يجهله أعظم بكثير مما يعلمه فلا يصيبه الغرور وإنما يصيب الغرور الجهلة.

والإنسان الذي عرف الصورة الكاملة وقاس ما عنده عليها يحصل له أمران من كثير: الأول: أنه يتواضع، الثاني: أنه يطلب المزيد ويجتهد بما وصل إليه وهذا أنفع ما للعبد.

٢٠٢٠/١١/٢٨

شيخنا حسين عبد الرازق

① (المحاضرة ١٢)

كتاب الحسنة والسيئة لابن تيمية رحمه الله

ص ١٠٧

فصل جليل في معنى الشفاعة

ابن تيمية رحمه الله بعدما بين أن الله تبارك وتعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو الخالق وهو الرازق وحده، فبين أن القرآن يحتج بهذه الحجة في إبطال ما كان يفعله المشركون من التوجه للأصنام وغيرها لطلب الرزق، والضر والنفع ونحو ذلك من الأمور وبين أن هذه هي طريقة القرآن: أنه يستدل بالربوبية على الألوهية. أي أن الله وحده هو الذي خلق فينبغي أن يكون وحده هو المعبود، هو وحده الذي يملك فينبغي أن يكون وحده المدعو تبارك وتعالى.

فذكر حجة هؤلاء: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى". أي هم شفعاؤنا عند الله فابن تيمية قال الذي جعله الله يشفع مثل الملائكة، النبيين، الصالحين هؤلاء لا يشفعون إلا بإذن الله، أما طلب الشفاعة من القبور، الأصنام، التماثيل فهذه باطلة عقلاً وشرعاً. ثم سيتكلم الآن عن الشفاعة.

بين ابن تيمية أن الأنبياء يشفعون والصالحون يشفعون ولكنهم لا يملكون الشفاعة، لأن الذي يملك الشفاعة هو رب العالمين تبارك وتعالى وهم مجرد أسباب ومع كونهم أسباباً فلا يشفعون إلا بإذن الله وإلا لمن ارتضى: أن يرضى الله عن الشافع وعن المشفوع فيه ولهذا قال تعالى "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه"،

يريد أن يقول أنه من الخطأ الكبير أن تقيس الشفاعة التي يقبلها الله ممن جعل لهم الشفاعة على شفاعة المخلوق عند المخلوق، فنقول أولاً: إن الله تبارك وتعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وإلا لمن ارتضى سبحانه غني عن خلقه لا يحتاج إليهم فهو حين يقبل الشفاعة تبارك وتعالى ليس لحاجة ولا لرغبة ولا لرهبة تبارك وتعالى

هم لفقر، أما شفاعة الناس الذين يقبلونها إما لأنه يحبه وإما لأنه يحتاج منه شيئاً وإما رغبة أو رهبة وإما أنه يحتاج معاونته، والله تبارك وتعالى غني عن ذلك كله.

يريد أن نقول إنا عندنا ثلاثة أطراف بالنسبة للمخلوقات: الشفيع: الذي يشفع للشخص الذي يطلب الشفاعة، والمشفوع إليه: يطلب منه الشفاعة والمشفوع له: هو الذي يطلب له الشفاعة.

فائدة: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي وفقك للتوبة وهو الذي يقبلها وهو الذي وفقك للعمل وهو الذي أثابك عليه، وهو الذي وفقك للدعاء ثم أجابك.
وهذا معنى "أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي" أي أن كل ما توفق له من العمل أو التوبة أو الاستغفار هو من الله تبارك وتعالى حتى أن صالح من حسنة عند الله، بكل معنى، لذلك سيدنا موسى عليه السلام أول كلمة دعا بها "رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري" فإذا انشرح صدرك للعمل أتت على باقي الأشياء أما لو لم يكن صدرك مشروحاً للعمل فلو توفرت لك كل الأدوات لن تغني عنك شيئاً.

قال يحيى بن سعيد القطان: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن الله خالق أفعال العباد"، والقدرية يزعمون أن الإنسان هو الذي خلق فعله وخلق فعله وأن الله ليس خالق لأفعال العباد ومعنى ذلك أن العبد هو الذي جعل ربه يغفر أو جعل ربه يقبل التوبة أو يشفع ويقبل الشفاعة، وهذا باطل الله سبحانه وتعالى وإنه كان رحمة لعبده بعد فعل المخلوق، أمروا لعبيدي أن نعبدكم: السيئات بزيدكم للإحسان؟ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات".
فهذا ليس من أن العبد هو الذي أرضى الله وإنما هذا من إكرام الله

وتفضله ، والله سبحانه وتعالى له الملك كله وله الأمر كله وله الحمد كله تبارك وتعالى .

وهذا إبطال لقول آخرين لعلّه قولهم " أن المخلوق يشفع عند الله دون أن يأذن الله

كما تزعمه من أن شخص يشفع لشخص آخر دون أن يأذن له المشفوع إليه . وهذا قول باطل

ومخالف للقرآن .

الإذن في القرآن : بمعنى الإذن الكوني بمعنى أن الله قدر ذلك أم الإذن

الشرعي بمعنى أن الله رضيه أو أمر به .

وكل شيء يحصل في الكون فهو بإذن الله حتى ولو كان لا يحبه الله فهو بإذنه والقدرية

يجعلون الإذن فقط هو بمعنى الإباحة والتشريع وليس عندهم الإذن بمعنى التقدير

ومعنى كلامهم هذا أن الكفر بغير إذن الله لأن الله كيف يقدر أن يصير الكفر

وهذا شر ، وعندهم أن الله لا يقدر أفعال العباد ، ولا يقدر عليها وهذا قول باطل

فلا يحصل شيئاً في الكون إلا بعلم الله ومشيئته وإذنه الكوني .

وكذلك قوله " وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله " وهذا أصاب المؤمنين

فإذا كان الذي أصاب المؤمنين هذا شر مثل القتل والجراح وهكذا فقالوا هذا ليس

بإذن الله ، لعلهم يحرفون قول الله في القرآن ، فقالوا لكنه بإذن الله بذلك ، لا يفرقون

بين الإذن الكوني والإذن الشرعي الذي يحبه الله .

والنوع الثاني : الإذن الشرعي : في قوله " إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً

وداعياً إلى الله بإذنه " وقوله " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن

الله " معنى أن كل ما يقع من الحوادث فهو بمشيئة الله لكنه قد يجتمع فيه المشيئة الشرعية

مع المشيئة الكونية . كمن يصلي مثلاً فقد شاء الله له أن يصلي ورضي له هذا الفعل .

ولكن لو أن الإنسان زنى فقد شاء الله له ذلك الفعل لكنه لم يرضه .

وكل ما يحدث هو بقضاء الله وحكمه وعلمه وخلقه وكتابته ولكن ليس كل ما يحدث

يكون مما يحبه الله ويرضاه. تبارك وتعالى الشرك إليه.

وقوله: «مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه» هذا الحصر فيه الإذنان

الإذن الشرعي والإذن الكوني. أي أنه أمر لا يمكن أن يشفع أحد عند الله

إلا إذا أذن الله له، وكذلك الله سبحانه وتعالى لا يجعل أحد يشفع إلا من

ارتضاه وأذن له أي أباح له ذلك. فالإذن هنا بمعنى التقدير والمشيئة

وأيضًا له إجازة وأحبه ورضيه.

وأما الكفر والسحر وقتال الكفار عند القدرية بغير إذنه لا الكوني ولا الشرعي

بخلاف ما هو عند أهل السنة كل ما يقع الكفر العصيان الطاعة كل ما يقع بعلم الله

وقدرته ومشيئته، والذي يفرقه فقط هو أن الله يحب ذلك ويبغض ذلك.

ولا يحصل شيء في الكون إلا بمشيئة الله. حاشا لله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم

يكن. هو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وهو خالق كل شيء.

والمشركون المقرون بالقدر يقولون أن شفعاءهم من الأصنام وغيرها تشفع بالإذن

القدري وإن لم يأذن لهم إباحة وجوازًا.

ومن كان مكذبًا بالقدر مثل كثير من النصارى يقولون: إن شفاعة الشفعاء

بغير إذن لا قدري ولا شرعي.

والقدرية من المسلمين المعتزلة يقولون يشفعون بغير إذن قدري.

فائدة: القدر هذا مقالة في نفي علم الله لأفعال العباد ونفي مشيئة

الله لأفعال العباد هذه مقالة موجودة عند الفلاسفة والملاحدة وبعض اليهود

وبعض النصارى وبعض المسلمين، فالمقالة هو قول يمكن أن يقول به أكثر

من شخص.

٥

الحوادث - الأشياء التي تحصل في الكون: كل هذه الأشياء قدرها الله وأيضًا
شاءها وخلقها، لكن ليس كل هذه الأشياء يحبها الله، لأن ما يحبه الله كالطاعة
والتوبة والصلاة والصيام وبر الوالدين وغير ذلك من الأمور. فهناك أشياء
تحدث ويتحقق فيها محبة الله مع مشيئته، وهناك أشياء تحدث تكون فقط شاءها
الله - وإن كان سبحانه وتعالى لا يشاء شيئًا إلا لحكمة -

وبعض المخطئين في القدر أخطأوا في هذا الباب:
والقدرية هم الذين يقولون إنهم يشفعون بغير إذن قدري، أي رغمًا عن الله وإنه
لم يقدر ذلك، وهم يرون أن الله لا يؤثر في فعل العبد، وهذا أصل ضلالهم، وهو
أن الفعل لا يأتي عن أكثر من مؤثر، فيقولون هذا الفعل إما من العبد أو من الله.
وعكسهم الجبرية قالوا الفعل كله من الله وليس للعبد فيه شيء، أما المعتزلة فقالوا
الفعل كله من العبد وليس لله فيه شيء، والقول الصواب: أن الفعل من الله ومن
العبد، من الله مشيئة وخلقًا وتقديرًا، ومن العبد فعلًا باستطاعته وإرادته.
هم يقولون أن الذي أذن الله له أن يشفع: فهذا الشفيع عند الله بغير
إذن قدري، يكون معه الإذن الشرعي فقط أن الله أباح له أن يشفع، لكنه
يشفع رغمًا عن الله وإنه لم يرد الله ولم يقدر ذلك، والشفيع الذي لم يأذن الله
له أن يشفع، فهذا الشفيع لا بإذن قدري ولا بإذن شرعي. وهذا من أبواب
الضلالات. والصواب الحق تمامًا: أنه لن يشفع أحد عند الله إلا من أذن
الله له ذلك - أي قدر الله له أنه سيشفع - وكذلك يكون الله سبحانه وتعالى رضي
شفاعته وقبلها أيضًا.
وقالوا الشفيع إذا أذن له في الدعاء قالوا هذا مؤثر في الله عندهم، أي هو
الذي جعل الله يستجيب، وهذا باطل لأن الإنسان لا يجعل الله يفعل شيئًا

ما عند الله سبحانه وتعالى لأنه كان يرتب تفضله على فعل العبد، فهذا من باب تفضله ومن باب إكرامه، وكذلك من باب جزاءه "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" "صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون" "أوفوا بعهدي أوف بعهدكم" فهذا ليس من باب التأثير، حيث لم يفعل الله تبارك وتعالى لفعل شيئاً، "إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني" والله سبحانه وتعالى هو الغني الحميد فهو لا يحتاج لهذا الباب يقولون هذا الكلام.

"دعاء بلعام بن باعوراء": هذا دعاء لا يرضاه الله أي الذي دعا به على موسى والله لم يأذن فيه شرعاً، فهم قالوا دعاء بلعام هذا طلباً به الله بغير إذنه لا الشرعي ولا الكوني، وابن تيمية يكذب هؤلاء ويقول والله تعالى يقول "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" أي لا يقدر أحد ولا يملك أحد أن يشفع عند الله إلا إذا أذن الله له بذلك وقدر له ذلك ومكنه منه.

إشكال: هم يقولون لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه الشرعي أو بإذنه الكوني، أي أن الله قدر له ذلك، وهناك من شفعوا عند الله تبارك وتعالى ولم يقبل الله شفاعتهم ولم يكن أذن لهم مثل نوح لما شفع لابنه وإبراهيم لأبيه وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي بن سلول حين صلى عليه بعد موته.

هم فهموا خطأ: فهموا أن ابن تيمية يقول لا يشفع أحد = أي لا يقدر أحد أن يطلب من الله الشفاعة، وهذا خطأ، هو لا يقصد ذلك، يقصد أنه لا تقبل شفاعة أحد إلا من أذن الله له كوناً وشرعاً، لأن المراد من الشفاعة هو القبول، وليس المراد من الشفاعة مجرد أنك تشفع.

كالقرآن: بين الله سبحانه وتعالى أنه هدى للناس، لكنه يهدي المؤمنين أنه

هدى للمتقين، فقرينه أن يكون القرآن هدى للناس أي ينبغي أن يهتدي به الناس، لكن هل كل الناس اهتدوا به؟ لا ليس كذلك، لذلك يعم الله مرة ويخص مرة.

فقرينه الأمر العام، الأمر الخاص: المراد هنا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل الشفاعة ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله له شرعاً وقدراً أما الشفاعة، لكن هناك من يشفع ولا تقبل وهي كعدمها.

قال تعالى: "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى" أي أن الله هداهم ودلهم لكن استحبوا العمى على الهدى فهذه الهداية لم تتم

المقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة النافعة المقبولة النافعة ولم ينفِ كل من يشفع.

والكفار يوم القيامة يقولون ليس لنا شفيع تقبل شفاعته أو تنفعنا: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم" وقال تعالى: "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" أي يمكن أحد يشفع لهم ولكن لن تنفعهم هذه الشفاعة.

فالشفاعة المطلوبة: هي شفاعة الشافع التي تقبل شفاعته، وهذه ليست لأحد عند الله إلا بإذنه، قدراً وشرعاً. فلابد أن يأذن بها. "ألا له الخلق والأمر"

وليس المراد بالشفاعة فقط أن يطلب الشفيع لكن المراد أن تقبل الشفاعة فإذا لم تقبل كانت كعدمها.

فذكر بالقرآن من يخاف وعيد: فليس كل من سمع الذكر ينتفع به

إنما أنت منذر من يخشاها: من المواقع الذين سينتفعون بإنذارك هم الذين يخشون

ألا له الخلق والأمر: لو وضع الإنسان هذه الآية من قلبه لاستغنى عن كل الخلق، لأن هذه الآية تقول لك ربك الذي خلق كل شيء هو الذي بيده كل شيء.

فلا يبقى عليك تعلق بما ملك الذي مخلوق، كثير من الناس تتوكل على غير الله،
لأنه يرى أن فلان هذا هو الذي عنده وهذا الشيء، صحيح؟ الله وحده هو الذي
له الخلق وله الأمر، وهذا هو معنى قول هود عليه السلام "إني توكلت على الله
ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" تقول لهم لماذا توكلت على الله
؟ ولأن الله ربي، وأنه كذلك ربكم = أي هو متصرف فيّ ومتصرف فيكم، وأنا وأنتم
أنتم لن تستطيعوا أن تضروني إلا بشيء قد كتبه الله علي، فأنتم لا تملكون
شيئاً، ثم قال بعد ذلك، "إن ربي على صراط مستقيم" فهو سبحانه وتعالى كما أن الملك
لكنه الرحيم العدل الكريم الحكيم، مقدرته بحكمة، وكرمه بحكمة، وعدله ورحمته، هذا
هو الذي يجمع معاني التوكل. فعندما تعلم أن ربك له الخلق وله الأمر علمت أن
مصيرك ليس بيد أحد.

وما أجمل ما قال الذين كانوا سحرة لفرعون، قالوا لفرعون، "فاقض ما أنت
قاض" ثم بينوا حجم قدرته على هذه الدنيا = "إنما تقضي هذه الحياة الدنيا"
أي أن أمرها عليك أن تفعلها بحسنا، لكن لن تستطيع أن تغير ما في قلوبنا من
الإيمان، لن تتحكم في مصائرنا، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

قال تعالى: "يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا"

وفيه قولان

قيل: إلا الشفاعة من أذن له الرحمن.

وقيل: لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن، فهو الذي تنفعه الشفاعة.

وهذا هو الذي يذكره طائفة من المفسرين، ولا يذكرون غيره.

وهنا القول الثاني أن الذي أذن الرحمن له هو الذي تنفعه الشفاعة.

والقول الأول: إلا الشفاعة من أذن له الرحمن.

فائدة: ليعلمنا ابن تيمية أنه قبل أن نقرأ نحو أن نرجع إلى تفسيرات الصحابة والأئمة التابعين.

ومعنى الآية أنه ليس فقط أن يكون الله راضي عن الشفيع الذي يقوم بالشفاعة. بل يكون راضي أيضاً عمن يشفع فيه،

ولو كان المقصود بالشفاعة من أذن له الرحمن يكون معناها أنه الله إذا رضي عن شخص قبل شفاعته مطلقاً وهذا غلط، لكن المراد أن يكون الله أذن في هذا الذي يشفع له وليس فقط أن يكون الله أذن للشفيع الذي يشفع

قال تعالى "يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا" أن يكون الله أذن في أن يشفع لهذا الشخص وليس فقط أن يكون راضي عن الشافع.

والدليل سيدنا إبراهيم يوم القيامة سيسأل ربه في أبيه: فهل ربنا سبحانه وتعالى سيقبل هذه الشفاعة؟ لن يقبل، فلابد أن يكون الله أذن في الشفاعة لهذا المشفوع له وليس فقط للشفيع الذي يشفع.

فائدة: لا تلازم بين الرضا عن شخص وقبول شفاعته المطلقة.

وأيضاً لما أراد أسامة بن زيد أن يشفع في المخزومية أسامة ابن زيد النبي صلى الله عليه وسلم يحبه لذلك هم اختاروه، ولكن لم يقبل هذه الشفاعة لأنها غير مقبولة لأنها في حد من حدود الله.

ولكن يحب ابنه لكنه لا يستجيب إلى ما يطلبه منه لأنه شيء غير صحيح وليس لأنه لا يحبه.

يعني أن الأئمة أن الذين يأذن الله سبحانه وتعالى لهم بالشفاعة أصلاً لا يملكون من أمرهم شيئاً فكيف يشفعون عند الله بغير إذنه. وهو سبحانه إذا أذن للمشفوع له فقد أذن للشافع، ولكن ليس إذا أذن للشافع يجب أن يأذن للمشفوع فيه

فائدة: الله سبحانه وتعالى إذا أذن أن فلان هذا يشفع له فبالتالي سيقبل الله سبحانه وتعالى من يأتي ليشفع له، على العكس يمكن أن الله يأذن لشخص ولا يقبل شفاعته بالشفاعة.

قال تعالى في سورة طه: "يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا * يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا" = الكلام هنا عن المشفوع له ويريد الشافع وليس الذي يشفع، فالله سبحانه وتعالى لابد أن يرضى عليه ويرضى قوله فمن هم الذين قالوا هذا القول هم قول لا إله إلا الله وبالتالي الشفاعة لا تنفع إلا المؤمن، والذي أذن الله له بالشفاعة. بخلاف التفسير الأول، إلا من أذن له الرحمن فهم بعض الناس أن المقصود: إلا من أذن الله له أن يشفع، الشافع، الكلام هنا عن المشفوع له.

الاستثناء المنقطع: ليس على بابه أن يكون المستثنى ليس من جنس المستثنى منه وهو المعنى لكنه. مثل قوله "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق" معناها أن الذين تدعونهم لا يملكون الشفاعة، ليس كذلك لأنه أبداً لا يملك الشفاعة إلا الله تبارك وتعالى فالمعنى لكن من شهد بالحق فإن الله يرضى عنه ويقبل شفاعته للشفيع.

فائدة لغوية: المصدر يضاف إلى الفاعل تارة وإلى محل الفعل تارة (المفعول به)

هذا قتل فلان = فلان هنا يمكن أن يكون هو المقتول أو هو القاتل مضاف تارة إلى الفاعل أو محل الفعل - المفعول به

أعجبني غزل الغزال، أعجبني غزل الثوب، الغزال هو الفاعل، الثوب هو المفعول به

فائدة: مما يدخله خلاف المفسرين عود الضمير، على من يعود، لكن رجحه موجودًا

هل الله يولي أم العبد هو الذي يولي وجهته.

"قد أفلح من زكاها" هل المقصود قد أفلحت النفس زكاها الله، أو قد أفلح من زكى نفسه

والصحيح قد أفلح من زكى نفسه وهذا هو الأليق بالسياق.

كذلك يختلفون من القائل: "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء" هل

هذه من مقالة يوسف أم من مقالة امرأة العزيز؟ هنا خلاف بين أهل العلم

وأحيانًا يختلفون فيه من المتكلم وعلى من يعود الضمير.

ما الشفاعة مصدر لابد له من شافع ومشفوع له.

الشفاعة: تعم كل شافع، وكل شفاعة لمشفوع له.

فإذا قال: "لا تنفع الشفاعة" فمعنى النفي: شفاعة الشفعاء والشفاعة للأشياء. ثم قوله "إلا من أذن له الرحمن" يتناول النوعين: من أذن له الرحمن ورضي له قولًا من الشفعاء، ومن أذن له الرحمن ورضي له قولًا من المشفوع له. وهي تنفع المشفوع له، تخلصه من العذاب، وتنفع الشافع فتقبل منه، ويكرم بقبولها، ويثاب عليها

يريد ابن تيمية أن يقول إن الله تبارك وتعالى لما قال "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" فهذا شرط الإذن، وأيضًا هناك شرطًا آخر وهو قوله بالحق "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" وكذلك "إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا" أو "رضي له قولًا" فكل هذه الشروط لابد أن نستحضرها حينما نتكلم عن الشفاعة النافعة لا الشفاعة التي ننفي بأحدها وهذه الشفاعة يراد بها طرفان: الطرف الأول المشفوع فيه الذي يريد الشفاعة، والشافع الذي يقوم بالشفاعة حتى تتم الاثنين.

ومن أيضًا الشفاعة غير نافعة أبدًا إلا هذا النوع الذي اجتمع فيه الرضا عن الشافع والمشفوع فيه. فليس مجرد توفر بعض الأسباب يوجب حصول الأثر

لابد من وجود الأسباب، وانتفاء الموانع وتحقق الشروط، كالذي سبق. ولا بد أن نقول بالسبب وجود رضا الله عن الشافع أو الشفيع وهو سبب لأن تقبل الشفاعة، ولابد أن يرضى الله كذلك عن المشفوع فيه.

وأيضا لو قلنا لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن فيكون المقصود أن الشفاعة انصرفت مرة للمشفوع فيه ومرة للشافع.

قال تعالى: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق" كراعي ينعق على البهائم أي عندنا ناعق ومنعوق به، فمثل المعنى أن الكفار شبههم كمثل الناعق الذي ينعق أو المنعوق به من البهائم أو الدواب. نعم هذا وهذا وهذا من جوامع الكلم أن يكون الكلام قليلا ويجمع المعاني الكثيرة.

قال تعالى: "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" هذه الآية ذكر فيها النفع وذكر فيها الإذن، فهل النفع للشافع والمشفوع فيه كما أن الإذن للشافع والمشفوع فيه أم أن النفع فقط للمشفوع فيه دون الشافع، أي الاثنين يحتاجون إلى إذن وكلاهما ينتفع بالشفاعة، هذا هو الذي يراه ابن عثيمين أن كلاهما يحتاج إذن وكلاهما ينتفع. فالمشفوع له معلوم أنه إذا قبلت الشفاعة سينتفع كأن يخرج من النار أو ترتفع درجته، وأما الشفيع أيضا سيكون ذلك إكراما له، فالشخص الذي تقبل شفاعته يدل ذلك لا شك على إكرامه والإحسان إليه. وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء" فهذا أيضا على الشفاعة في الدنيا، فإنك إذا شفعت لشخص ما عند شخص لك أن تشفع منه فإذا قبلت شفاعتك فهذا فيه إكرام لك وأنت تؤجر كذلك عند الله تبارك وتعالى وربما يكون أجرك وانتفاعك أعظم من المشفوع له.

كما نرى ابن تيمية يميل إلى أن الاستثناء للإذن يوم القيامة لمن يشفع ويشفع له.

من الذي يملك الشفاعة؟

فرق بين الشافع الذي يشفع والذي يملك الشفاعة. يريد أن يقول أن الكلام هنا "لا يملكون منه خطابا" "لا يملكون الشفاعة" هذا عام وأن الاستثناء بعده استثناء منقطع، ليس معناه أن المذكور بعد ذلك يملك شيئا من الشفاعة، لا يملك أحد شيء من الشفاعة، الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يملك.

فائدة: ابن تيمية يعتمد كثيرا على مجاهد رحمه الله في التفسير، فهو أنه من أعلم -أو أعلم- التابعين بالتفسير، وهذه الإشارة ليست فقط من ابن تيمية بل العلماء كالثوري وغيره يشهدون لمجاهد أنه من كبار أئمة التفسير وهم من المفسرين التابعين لابد أن يرجع إلى قولهم. ويعتمد ابن تيمية على تفسير مجاهد كما اعتمد الشافعي وأحمد والبخاري في صحيحه. وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس: أقفه عند كل آية وأسأله عنها.

"لا يملكون منه خطابا": فلو قلنا لا يملكون منه خطابا أي لا يملك أحد أن يكلم الله في هذا الموقف إلا من أذن له الله فالشفاعة نوع من الكلام.

قال ابن تيمية: إذا المخلوق لا يملك شيئا شاركه فيه الخالق كما قد ذكرناه في قوله "ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة" أن هذا عام مطلق، فلا أحد ممن يدعى من دونه لا يملك الشفاعة بحال، ولكن الله إذا أذن لهم شفعوا من غير أن يكون ذلك مملوكا لهم، وكذلك قوله "لا يملكون منه خطابا"، كما أقول لك مثلا انتفع من هذه الحديقة لكن هي ملكي، فليس إذني لك بالانتفاع معناه أنك صرت مالكا

فالله سبحانه وتعالى إذا أذن إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره من الصالحين أن يشفعوا
فليس معنى ذلك أنه ملكهم الشفاعة ، لذلك نحن في الدنيا لا نسأل الشفاعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يملكها وإنما نسأل الله ، فنقول يا رب شفّع فينا
نبيك صلى الله عليه وسلم ، كذلك نسأل الصالح.

لا يملكون منه خطابا = قال بعض المفسرين هذا الضمير يعود على الكفار وهذا التفسير
تفسير ضعيف ومرجوح ومحتمل ، لا شك أنه صحيح وأن الكفار داخلون فيه ، لكن
خطأ أن يكون هذا لفظ العموم ثم تفسره بالأخص الذي يوهم التخصيص ، وخطأ الإمام
ابن عطية في تفسيره في هذا الموضع

والصواب أنه لا يملك أحداً أن يخاطب الله ويدخل في ذلك الشفاعة إلا بإذنه
تبارك وتعالى وأن هذا عام مطلق. كما قال في آية أخرى "وخشعت الأصوات للرحمن
فلا تسمع إلا همسا"

ويقول ابن تيمية أنه قد طلبت الشفاعة من أكابر الرسل وأولي العزم وكل يقول
" إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله وإني فعلت
كذا وكذا. نفسي، نفسي، نفسي" فإذا كان هؤلاء لا يتقدمون إلى مخاطبة الله
تعالى بالشفاعة فكيف بغيرهم؟.

فائدة = ① هذا مثال لرد المقالات الخاطئة في التفسير: أننا أولاً نردها بالنظر
في نفس الآية وفي سياق ما قبلها وما بعدها وبالأحاديث، وكذلك نردها بمخالفة
السلف. والإمام الطبري رحمه الله كثيراً جداً ما يقول خطأ القول لأنه مخالف لقول الحجة
من المفسرين.

② ليس كل ما احتملته الآية لغة يصح أن يكون تفسيراً للآية الصحيحة. وليس كل
ما احتملته الآية يكون تفسيراً لها.

فقوله «لا يملكون منه خطاباً» ليس هذا محصوراً في الكفار، فكيف كلهم السياق وكلام السلف يرده، والسياق هنا يتكلم عن المؤمنين أولاً فقال: «إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا. لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا. جزاءً من ربك عطاءً حسابا. رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا»

وإذا كنت أنا لا أملك من أمر فلان شيئاً فمعنى ذلك شيء واحد وهو أن أخاطبه. فربما أن هنا نفي هذا، فمعنى أن الله نفى ملك هؤلاء أن يخاطبوه فيكون ما بعده أولى أن لا يملكوا ما هو ملكهم يدخل فيه الشفاعة وغيره. فإذا نفى الأدنى نفى الأبلغ..

فهو يريد أن يصل أنهم لا يملكون الشفاعة. ويريد أن يصل إلى أن الشفاعة ليست ملكاً للشافع وإنما هم سبب فقط

وقوله «يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا» يدخل فيه كل أنواع الشفاعة: الشفاعة في أهل الموقف عموماً، وفي أهل الجنة، وفي المستحقين للعذاب من المؤمنين.

يريد أن يقول أن هذه الآيات يمكن أن نفهم منها اشتراط أن يقول الإنسان لقول لحكم أن يكون موحداً بقول لا إله إلا الله. وأن يكون الله رضي عنه، لكنه لم يذكر العمل الصالح، ولكن دل الدليل عليه من جهة أن القول المرضي لا يمكن أن يرضى عن صاحبه إلا بأنه يعمل به، فقول لا إله إلا الله لابد أن يعمل به،

قال تعالى في سورة الزخرف «ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون» أي أنه هناك ناس يدعون من دون الله وهم المشركون يدعون عيسى وعزيراً ويدعون الملائكة والأشياء والصالحين. أي أن كل هذه الأصناف التي ادعى أنها تملك الشفاعة لا يملكون. إلا من شهد بالحق وهم يعلمون: فهل المقصود هنا إلا من شهد بالحق ممن يدعون من دون الله فيستثنى منهم المسيح والملائكة والصالحين فهؤلاء يشفعون)

أو المراد إلا من شهد بالحق فيكون الكلام من يُشفع له فيشترط فيه الإخلاص للعبادة والإيمان. فهذان قولان.

فائدة: الجر بحرف الخفض إذا انتُزع نُصب الاسم: الصلاة في اللغة، فإذا حذفنا حرف الجر نصبنا كأن نقول الصلاة لغةً"

فائدة ① - عندما نقل ابن تيمية عن ابن الجوزي رحمه الله وهو ينقل بغير إسناد، أنه رجع إلى الكتب التي تنقل بإسناد كتفسير الطبري وابن أبي حاتم. وهذا مهم لأنه أحيانًا ينقل الناقل بالمعنى وأنت إذا رجعت إلى المصدر الأصلي تجده مخالفًا للمعنى الذي نُقل

② وهذه نقد المقالات فليس كل ما يروى يُقبل.

رد ابن تيمية كلام المفسرين لبعض أن تفاسير الآية متضمنة صحيحة لكنها ليست مطابقة لمعنى الآية. فرق بين مطابقة الآية ومعنى الآية. حين قالوا أن الملائكة تشفع وعيسى يشفع وهذا صحيح لكن هذا هو المراد من الآية؟ ليس هذا هو المراد من الآية. المراد من الآية: نفي ملك الشفاعة عن كل من سوى الله ثم بعد ذلك ندخل في التفاصيل.

قال ابن تيمية: كلا القولين معناه صحيح ولكن التحقيق في تفسير الآية: أن الاستثناء منقطع، لا يملك أحد من دون الله الشفاعة مطلقًا" ولأنهم جعلوا الاستثناء في الآيات السابقة على بابه، والصواب أنهم يشفعون لكن إلا بإذنه، فإذا كان يملك إلا ما المذكورون بعد أداة الاستثناء ليسوا مستثنين من ملك، هذا الاستثناء على غير بابه.

ولو قال الله سبحانه وتعالى لا يشفع أحد إلا. فهذا الاستثناء على بابه لكن ربنا هنا تكلم عن الملك،

فكل ما يشفعون لا يشفعون إلا بإذن الله.

ولو كان معنى الآية أنها حصر فيمن تقبل شفاعتهم فكيف حصروا الشيء، لذلك
ولم يذكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أعظم شكل شفاعة، لذلك
ابن تيمية يرى أن هذه المعاني صحيحة ولكن ليست بحقيقتها تفسير الآية.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فمن جعل الاستثناء منقطعاً قال معنى كلامه: أن من يدعى من
دون الله لا يملك الشفاعة إلا أن يشهد بالحق وهو يعلم، أو لا يشفع لمن يشهد بالحق
وهو يعلم، ويبقى الذين لم يدعوا من دون الله لم تذكر شفاعتهم لأحد، وهذا المعنى
لا يليق بالقرآن ولا يناسبه، وسبب نزول الآية يبطله أيضاً".

فيه أنه يلزم إذا فسرت الآية بهذا المعنى لوازمان باطلان:

الأول: أن يكون المذكور - أي الذين ذكر أنهم يملكون الشفاعة وهم أصلاً
لا يملكون الشفاعة

والثاني: أن يكون الذين أذن لهم في الشفاعة لا يذكر منهم الذين عبدوا ودعوا من
دون الله، فأين ذكر نبينا وأين النبي صلى الله عليه وسلم وكثير ممن يشفعون.

وهذا احتمال التفسير. وهو يريد أن يقول أن هذا المعنى متضمنه لكن ليس
تفسيراً للآية، وهذا أنزه منه القرآن.

وأيضاً يبين أن هذا الحصر فيه أسر جرمية، هؤلاء حصروا الشفاعة فيمن عبدوا من دون
الله في شيء هناك، وأن الذين دعوا من دون الله والتمست الشفاعة منهم ليسوا فقط
ليس الحصر في الملائكة، فهناك أيضاً الأصنام فانقسم بذلك الحصر في الأصنام
فالآية جامعة،

فأيضاً هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله لا يملكون الشفاعة وكذلك لا يملكون أن
يشفعوا إلا بإذن الله. وهذا بالضبط شيء لا يملكونه مطلقاً. وهنا نفى الملك
المطلق ونفى أيضاً الشفاعة. أي لا يستطيع أن يشفع إلا إذا أذن الله له.

فائدة: من أجل قرائن الترجيح معهود القرآن العام، فمثال ذلك أن كل
نبي يصدر منه شيء يستحق الاستغفار يأتي معه استغفاره: آدم وحواء لما
أكلا من الشجرة قالا "ربنا ظلمنا أنفسنا"، سيدنا إبراهيم قال "والذي أطمع أن
يغفر لي خطيئتي يوم الدين"، سيدنا نوح عليه السلام قال "رب إني أعوذ بك
أن أسألك ما ليس لي به علم"، سيدنا يونس عليه السلام "لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين"، سيدنا موسى "رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له"
فلما لم يذكر الله استغفارًا ليوسف عليه السلام في موقفه مع امرأة العزيز فهذا
يرجح أنه لم يصدر منه ذنب يستحق الاستغفار، وهذا يرجح أن يوسف عليه
السلام لم يهم بالمرأة، الهم الذي يكون فيه ذنبًا، وإنما كان ما يمكن أن يكون
حصل له أنه خطر بباله.

ومعهود القرآن من ناحية اللغة: يعني هذا يقدم على الأجنبي من كلام
العرب.

ومنه أنه لو كان الكلام عن الشفاعة لم يستخدم لفظ من دونه، وإنما يستعمل
بإذنه أو يرضى له قولًا، فإن استعمل كلمة من دونه يكون الكلام هنا عن الملك.
وليس عن مجرد الشفاعة، فالشفاعة هي من عنده فكيف تكون من دونه، ولكنها قد
تكون بإذنه وقد تكون بغير إذنه
فإذا كان يتكلم عن مجرد الشفاعة، فتكون من إذنه وغير إذنه، أما إذا كان يتكلم
عن الملك فإن الذي يملك من دون إذنه وغير إذنه، والملك يلزم أن يكون من دون الله
إذا كان الله وحده هو الذي يملك. فلابد أن نعلم أن الله وحده هو الذي يملك.

145

والمقصود هنا: أن الإمام ابن تيمية يريد أن يجعل كل من قال الاستثناء
متصل، والصواب أن الاستثناء منقطع لأننا لو قلنا أن الاستثناء متصل فيها

مما سبق التي من دونه ، مقرراً أنه نظنه أنهم يملكون الشفاعة وهذا ليس صحيحاً رغم
أنه كثير ذلك فيه ونحن من غير الله ونخرج من لم يدعى ، حيث كذلك أنه يدخل
الأصنام ليسوا معصومين وليس للمعبود كتاب الله .

ابن تيمية بيّنه أقوال منهم زعموا أن الاستثناء منفصل من معنى " ولا يملك الذين
يدعون الشفاعة من دونه " أو لا يملك الذين يدعونهم من دونه أن يشفعوا " قال
وهذا أظهر لكنه أيضاً خطأ ، وليس كل ما قال فيه العالم أنه أظهر أنه راجح
، فإنما نقول هذا أقرب إلى الصواب . فابن تيمية يخطئ كل الأوجه التي زعم فيها أن
هذا الاستثناء منفصل على أي صورة وعلى أي تقدير ويرى أن الصواب أن الاستثناء متصل
وأن ما بعده يقصد به مجرد الشفاعة بشروط كالإذن والرضا ، وشهادة بالحق وليس
استثناء منقطع بمعنى أنهم يملكون الشفاعة أو يملكون أن يشفعوا كل هذا يرده ابن
تيمية رحمه الله .

فلا يصح أن تذكر نفي الملك إلا بإذنه ، لأنه لا يناسب ، لأنك إذا نفيت الملك
هذا يدخل فيه الكل ، لكن إذا نفيت الشفاعة هذا يدخل فيه الإذن فيصح أن تقول
" من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " . لأنه قد يشفع أحد بإذن الله . لكن لا يصح أن
تقول لا يملك أحد الشفاعة إلا بإذن الله هذا لا يناسب لأنه لا يملك أحد
الشفاعة فالشفاعة ملك لله .

فأثبت العلامة ابن تيمية أن الله وحده يملك الشفاعة وأن الله سبحانه وتعالى له الملك
وليس له شريك في الملك قال تعالى : " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون
مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير " .
- قول الله تعالى " من دونه " / " إلا بإذنه " -
بيّن ابن تيمية أن المقصود من القرآن أن كلمة من دونه تذكر مع الملك وليس الشفاعة

فإذا نفى الشفاعة مطلقاً فهو يذكر "من دونه" كما قال: "وأنذر به الذين
يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع"، وكما قال تعالى
"وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع"، وكما قال
تعالى: "ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع" فلما قال "من دونه" نفى الشفاعة مطلقاً.

وإذا ذكر "بإذنه" لم يقل "من دونه" كقوله: "من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه"، وقوله: "ما من شفيع إلا من بعد إذنه" يدل على أن حقيقة
الشفاعة التي هي مجرد سبب وإنما الشفاعة للمأذون له وليس مالك الشفاعة.

فائدة في التفسير

قال تعالى: "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني" يشبه بعضه
بعضاً ويصدق بعضه بعضاً ليس مختلف ولا متناقض. "ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"

مثاني: تثنى الله فيه الأقسام ويستوفيها = أي يكررها ويكمل بعضها ببعض
وليس معنى مثاني أنه ذكرت مرتين فقط وإنما هي مكررة أو معدودة كما في قوله
"ثم ارجع البصر كرتين" يراد به مطلق العدد كما تقول: قلت له مرة بعد مرة.

كقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل
يقول بين السجدتين "رب اغفر لي، رب اغفر لي" لم يرد أن هذا قاله مرتين
فقط، وبعض الناس يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك مرتين
مجمل ذلك جداً. فهو يعتقد أن هذا هو الذي يقوله مقدار ما يكون بين السجدتين
يقول "رب اغفر لي رب اغفر لي" فليس المقصود الحصر في الاثنين.

فالتثنية التعديد والتعديد يكون للأقسام المختلفة.

فائدة :- عرفوا بعضهم المتشابه والمثاني ، وليس في القرآن تكرار محض بل لابد
من فوائد في كل خطاب ، فالمتشابه من النظائر المتماثلة أي يكون هذا المعنى بلفظه
مثلاً في سورة التحريم وسورة التوبة :- يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
هذا مكرر ، وهذا من المتشابه ، لكن المثاني هو أن يذكر النوع مثلاً الله سبحانه
وتعالى قصة من أخطائهم الهلاك وليس ولابد أن منهم مثل قارون وفرعون والرجل
الذي جعل الله له جنتين ، فهذا من المثاني لأن القصة متنوعة ولكن يجمعها أمر واحد
والمقصود هنا : أنه قوله " ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة "
فحكم الكلام هنا . فلا يملك أحد من المعبودين من دون الله الشفاعة البتة :
ثم استثنى " إلا من شهد بالحق وهم يعلمون " فهذا استثناء منقطع ، فكأنه سائل يقول
هل يمكن أحداً أن يشفع فهل من أسباب في الشفاعة ، ولكن لا يملكونها ، لذلك يجب نسأل
الله الشفاعة ولا نقل يا رسول الله اشفع لنا وإنما نقول يا رب شفع فينا النبي صلى
الله عليه وسلم .
وهي تشمل الشافع والمشفوع له ، يكون الذي يشفع شهد بالحق وهو يعلم ، والمشفوع
له شهد بالحق وهو يعلم . والعلم هنا ليس مجرد كلمة تجري على لسانه ، وتكون الشفاعة
من أهل لا إله إلا الله . فالذي يتعلق بالشفاعة ، هي شهادة بالحق وهي شهادة أن
لا إله إلا الله ، فالشفاعة سوى لغير الله ، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين.
فائدة :- مما انتشر على ألسنة بعض الدعاة يقولون أن المؤمنين يخرجون من
النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يقصدون أن الشفاعة هي التي أخرجتهم
المؤمن .. الذي يدخل النار ويعذب بذنبه يخرج بتوحيده وإنما فائدة الشفاعة فقط
تعجيل خروجه ، لأن الناس الذين يقولون يعذب على قدر ذنوبه ثم يخرج بالشفاعة
؟ وهذا خطأ أيضاً لأنه لو عذب على قدر ذنوبه فإنه سيخرج حتماً حتى لو لم تكن الشفاعة

ما معنى الشفاعة ؟ اذكر تفصيل الإجراء .

شروط الشفاعة : أن يكون موحداً وليس فقط أن يشفع للشافع

لأنه مكلف أن يشفع له ولا يقبل الله شفاعته

فائدة : الشفاعة سببها توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها لله

فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة .

ينبغي أن يعلم أن الحمد رأس الشكر والاستغفار خير دعاء كشكور .

فالحمد بإزاء النعمة ، والاستغفار بإزاء الذنوب .

تم بحمد الله ولله الحمد والمنة

جزى الله الإمام ابن تيمية خير الجزاء

وكتب أجره وأسكنه الفردوس الأعلى

وجزى الله شيخنا الحسن

خير الجزاء وكتب أجره وبارك له في علمه

اللهم آمين